فتح العليم العلي

في التعليق على تفسير العلامة السعدي

محمد بن أحمد رفيق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تقديم

بقلم الشيخ محمد عبد السلام عزيزو

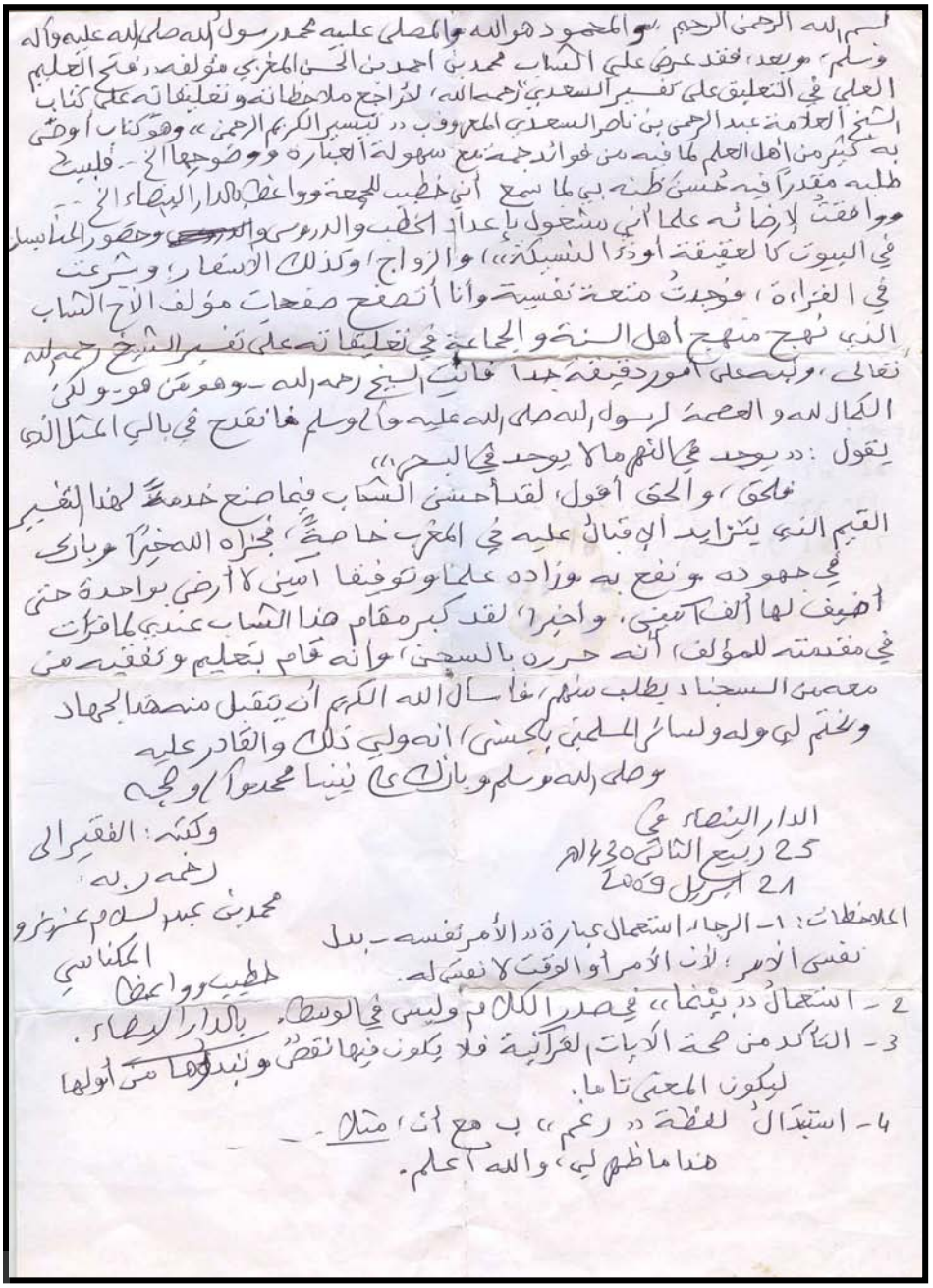

بسم الله الرحمن الرحيم - والمحمود هو الله والمصلى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وبعد، فقد عرض علي الشاب محمد بن أحمد بن الحسن المغربي مؤلفه، "فتح العليم العلي في التعليق على تفسير السعدي" رحمه الله، لأراجع ملاحظاته وتعليقاته على كتاب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي المعروف بـ «تيسير الكريم الرحمن» وهو كتاب أوصى به كثير من أهل العلم لما فيه من فوائد جمة مع سهولة العبارة ووضوحها الخ - فلبيت طلبه مقدرًا فيه حسن ظنه بي لما سمع أني خطيب للجمعة وواعظ بالدار البيضاء الخ - ووافقت لإرضائه علمًا أني مشغول بإعداد الخطب والدروس ~~والدروس~~ وحضور المجالس في البيوت كالعقيقة أو ذكرا للنسيكة» والزواج، وكذلك الأسفار، وشرعت في القراءة، فوجدت متعة نفسية وأنا أتصفح صفحات مؤلف الأخ الشاب الذي نهج منهج أهل السنة والجماعة في تعليقاته على تفسير الشيخ رحمه الله تعالى، ونبه على أمور دقيقة جدا فاتت الشيخ رحمه الله - وهو من هو - ولكن الكمال لله والعصمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانقدح في بالي المثل الذي يقول: «يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر».

فالحق، والحق أقول، لقد أحسن الشاب فيما صنع خدمة لهذا التفسير القيم الذي يتزايد الإقبال عليه في المغرب خاصة، فجزاه الله خيرًا وبارك في جهوده ونفع به وزاده علمًا وتوفيقًا إنني لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها ألف آمين. وأخيرًا، لقد كبر مقام هذا الشاب عندي لما قرأت في مقدمته للمؤلف، أنه حرر بالسجن، وأنه قام بتعليم وتفقيه من معه من السجناء بطلب منهم، فأسأل الله الكريم أن يتقبل منه هذا الجهاد ويختم لي وله ولسائر المسلمين بالحسنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه

الدار البيضاء في
25 ربيع الثاني 1430هـ
21 أبريل 2009

وكتبه: الفقير إلى رحمة ربه:
محمد بن عبد السلام عزيزو
المكناسي
خطيب وواعظ
بالدار البيضاء.

الملاحظات: 1- الرجاء استعمال عبارة «الأمر نفسه» بدل «نفس الأمر»؛ لأن الأمر أو الوقت لا نفس له.

2- استعمال «بينما» في صدر الكلام وليس في الوسط.

3- التأكد من صحة الآيات القرآنية فلا يكون فيها نقص ونبدؤها من أولها ليكون المعنى تامًا.

4- استبدال لفظة «رغم» بـ «مع أن» مثلا - -

هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

والمحمود هو الله، والمصلى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد:

فقد عرض علي الشاب محمد بن أحمد بن الحسن المغربي مؤلف «فتح العليم العلي في التعليق على تفسير العلامة السعدي» رحمه الله، لأراجع ملاحظاته وتعليقاته على كتاب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي المعروف بـ: «تيسير الكريم الرحمن»، وهو كتاب أوصى به كثير من أهل العلم، لما فيه من فوائد جمة، مع سهولة العبارة، ووضوحها. فلبيتُ طلبه، مُقدرا فيه حُسن ظنه بي، لما سمع أني خطيب للجمعة وواعظ بالدار البيضاء ـ المغرب الأقصى ـ ووافقت لإرضائه، علما أني مشغول بإعداد الخطب والدروس، وحضور المناسبات في البيوت، كالعقيقة – أو النسيكة –، والزواج، وكذلك الأسفار.

وشرعت في القراءة فوجدت متعة نفسية، وأنا أتصفح صفحات مؤلف الأخ الشاب الذي نهج منهج أهل السنة والجماعة في تعليقاته على تفسير الشيخ رحمه الله على أمور دقيقة جدا، فاتت الشيخ رحمه الله ـ وهو من هو ـ ولكن الكمال لله والعصمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانقدح في بالي المثل الذي يقول: «يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالحق ـ والحق أقول ـ لقد أحسن الشاب فيما صنع، خدمة لهذا التفسير القيم الذي يتزايد الإقبال عليه في المغرب خاصة، فجزاه الله خيرا في جهوده، ونفع به، وزاده علما وتوفيقا، آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف لها ألف آمين.

وأخيرا لقد كبُر مقام هذا الشاب عندي، لما قرأت في مقدمته للمؤلف أنه حرره بالسجن، وأنه قام بتعليم وتفقيه من معه من السجناء بطلب منهم.

فأسال الله الكريم أن يتقبل منه هذا الجهاد، ويختم لي وله ولسائر المسلمين بالحسنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه الفقير إلى رحمة ربه

محمد بن عبد السلام عزيزو المكناسي

خطيب وواعظ بالدار البيضاء

المغرب الأقصى – الدار البيضاء في – ٢٥ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ – ٢١ أبريل ٢٠٠٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما بعد:

فإن الله تعالى لا يقضي قضاءا لعبده المؤمن إلا كان فيه خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، وإن مما قضاه الله تعالى لي، أن حُبست في بلاد الروم ظلما، وسُجنت من غير جريمة اقترفتها، إلا أني أصعد المنبر وأصدع بالحق، فشاء جل جلاله أن أجد في السجن شبابا تابوا إلى ربهم من قريب، وانشرحت صدورهم لتعلم دينهم، فألحوا علي أن أُفقهم فيما يحتاجون إليه، وأزودهم من الكتب ما لا ينبغي لمسلم جهله، فكان مما أوصيتهم به: تلاوة القرآن العظيم وتفسيره، ورياض الصالحين، وحصن المسلم، ومختصر السيرة النبوية، وصفة صلاة النبيﷺ، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحفظ الأربعين النووية.

وكنت دائما أوصيهم بعرض أي كتاب علي قبل قراءته، لأتصفحه وأعلق على ما فيه من أخطاء ـ إن كانت ـ سواء في ذلك الأخطاء المطبعية، أو الفقهية، أو المخالفة لما عليه أهل السنة.

فكان مما وقع بين يدي: كتاب التفسير للشيخ العلامة المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ: (تيسير الكريم الرحمن) وهو كتاب أوصى به كثير من أهل العلم، لما فيه من فوائد جمة، ولما فيه من سهولة العبارة ووضوحها، وتجنب الحشو والتطويل، وتجنب ذكر الخلاف ، ودقة الاستنباط في مواضع كثيرة .. الخ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا مما جعلني أعتني به، وأتصفحه، صفحة صفحة، وأتدبر تفسير كل آية على حدة، من أوله إلى آخره. لأستفيد منه أنا أولا، ولأوضح للإخوة معي ما قد يلتبس عليهم، أو لا يفهمونه ثانيا، وهذا بتوفيق الله العليم العلي، وفتحه علي.

وإثر دراستي له، أوقفتني بعض العبارات والتفسيرات لآيات غلب على ظني أن الشيخ رحمه الله، جانب فيها الصواب. وبعضها ذكر في معناها القول المرجوح، وترك الراجح، وبعضها لم يسبقه فيها أحد. فسجلت تلك الملاحظات والتعليقات في مسودة يوم الاثنين ١١ ربيع الأول ١٤٢٦ الموافق ٢١ مارس ٢٠٠٥م.

ولكن هابني أن أقول في كلام الله بما غلب على ظني دون مراجع، وكذلك شهرة الشيخ وثناء من يعرفه من العلماء، كثناء الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله على هذا التفسير، وتقديمه له، دون إشارة لأي خطأ، وكذلك بالنسبة للشيخ عبد الله عقيل وعبد الرحمن بن معلى اللويحق. فقلت في نفسي: «لا شك أن هؤلاء الشيوخ لم يطلعوا على التفسير كله، وإنما قرؤوا جزءا منه، ففاتتهم هذه الملاحظات، أو أنهم يوافقونه !».

فلما انتقلت إلى سجن آخر، وجدت أخا مسلما عنده تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله، وتفسير الجلالين، ففرحت فرحا يعلمه الله تعالى، ثم نظرت فيهما وقارنتهما بما قد غلب على ظني أن الشيخ السعدي رحمه الله قد أخطأ فيه، فألفيته كذلك، فتضاعف سروري لما وفقني الله تعالى له وفتحه علي،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فشرعت في تحريره وتبييضه يوم الخميس الخامس من شهر ذي الحجة لعام ست وعشرين وأربعمائة وألف، الموافق للخامس من شهر يناير لعام ست وألفين ميلادي، بسجن [سولمونا] الإيطالية، وكان الفراغ منه يوم الاثنين السادس عشر من نفس الشهر والسنة.

ومكث هذا التأليف خلف القضبان إلى أن جاء الفرج عام ١٤٢٩ من شهر ذي القعدة الموافق لعام ٢٠٠٨ من شهر نونبر، فاطلعت فيما عندي من مراجع، وتدارست التعليق مع بعض طلبة العلم، كما وناولته بعض أهل العلم عندنا في المغرب ليتصفحوه ويراجعوه، وكان من بينهم الشيخ محمد بن عبد السلام عزيزو ـ أعزه الله وحفظه ـ الذي ما بخل عني بوقته ومشاغله، فجزاه الله عني خيرا.

هذا، وقد سميته: (فتح العليم العلي في التعليق على تفسير العلامة السعدي). وتعليقاتي على هذا التفسير، ليست من قبل تعليقات المسمى محمد زهري النجار، الذي عبث في تفسير الشيخ رحمه الله، فزاد ونقص، وعاب وخطأ، وعلق من غير تعليق، وصحح من غير تحقيق. ولقد أبان الشيخ محمد بن سليمان البسام عوار تلك التعقبات بيانا شافيا في رسالة مستقلة عنوانها: (كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار على تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي) كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق المطيري حفظه الله، وإنما قصدت بها ـ أي التعليقات ـ تنبيه طلبة العلم، لأن غالبا ما يقرأ الطالب لشيخه، أو لمن اشتهر بالعلم، من غير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تثبت، ظانا منه أنه يقرأ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، غافلا قول مجاهد: « ليس من أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

والقصد الآخر من هذا التعليق، هو أن يعاد طبع هذا التفسير القيم، مع وضع هذه التعليقات والتنبيهات، إما بأن تجمع كلها في المقدمة، أو يشار إليها في الهامش عند ذكر الآية، أو تطبع في كتيب مستقل. وهكذا يزداد المسلمون نفعا بهذا التفسير، ويطمئن الناشر فيما ينشر، والعالم فيما يوصي به ويأمر.

فأخطاء الشيخ رحمه الله مقارنة مع ما أصاب فيه قليلة، وقليلة جدا، وكما قال ابن القيم في « مدارج السالكين»:

« وقد قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يُعصم من الخطأ من خلق ظلوما جهولا؟ ولكن من عدت غلطاته، أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته». انتهى.

والشيخ رحمه الله ـ مهما كان ذا علم بالتفسير ـ فلا شك أنه لم يبلغ علم مجاهد، الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ومجاهد إمام المفسرين»، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما»[1]. ومع ذلك لم يمنع

(١) مجموع الفتاوى ٣ / ٥٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإمام الذهبي رحمه الله أن يقول عنه: « ولمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُستنكر »[1].

ثم هذه التعليقات ليست قدحا في مكانة الشيخ ـ كما قد يتوهم البعض ـ ولا نقصا من علمه، أو قدحا في تفسيره، بل هي بمثابة تصحيحه وتنقيحه واستكماله. وإلا فالشيخ رحمه الله يُعد من علماء أهل السنة البارزين بمدينة عنيزة ـ إحدى مدن القصيم بأرض الحرمين ـ وقد تولى رحمه الله إمامة وخطابة الجامع الكبير سنة ١٣٦١ هجرية، وتخرج على يديه تلاميذ كُثر، يُعد بعضهم من أكابر العلماء، كالعلامة محمد بن صالح العثيمين، والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، والشيخ علي بن ناصر بن وادي.

ثم إنه ـ رحمه الله ـ له مؤلفات قيمة تدل على رسوخه في العلم، ومن ذلك: «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» و « القواعد الحسان في تفسير القرآن» و « القول السديد في مقاصد التوحيد» و « رسالة لطيفة في أصول الفقه» وغير ذلك.

و في الختام، أشير إلى أن كتاب التفسير للشيخ السعدي الذي بين يدي، هو من طبعة (مؤسسة الرسالة بيروت لبنان) الطبعة التاسعة، وهي طبعة ـ كما زعموا ـ جديدة منقحة ومصححة ١٩٩٨/ ١٤١٨. وقد نبهت ههنا للأهم وهو تفسير آيات ومعانيها، وإلا فالأخطاء المطبعية فيه كثيرة مع الأسف. بعضها هين، وبعضها خطير، إذ يغير المعنى، فلذلك يلزم

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٥٥.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القائمين على حفظ كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ مراقبة هذه المطابع التي تغرر المشترين بكتابتها على الغلاف:(طبعة جديدة منقحة ومصححة)، وهي ليست كذلك.

والله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يتغمد شيخ شيوخنا عبد الرحمن السعدي برحمة منه وفضل، وأن يبارك في تفسيره، ويفتح على كل من عكف عليه، دراسة أو تدريسا أو فقها أو دعوة، ويرحم مشايخ الإسلام الذين سبقونا بالإيمان، وأن يبارك في الأحياء منهم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة البقرة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله، وكيفيتها..»[٢].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: قوله: «حقائق أوصاف الله وكيفيتها» هذا لن يتأتى لأحد، فإن أهل السنة نزاعهم مع أهل البدع من الجهمية والمجسمة والمشبهة وغيرهم، إنما هو من هذا الجانب المتعلق بصفات الله جل جلاله، إذ قد أجمع أهل السنة على أن ما وصف الله تعالى به نفسه ـ سواء في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ ـ أن المسلك الأسلم في ذلك طريق السلف، وهو إمرار ما جاء في ذلك من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل. فكيف أدخل الشيخ رحمه الله في الإيمان بالغيب « حقائق أوصاف الله وكيفيتها» ؟ وقد سئل الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٣] فقال: « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول

(١) سورة البقرة: ٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٢٤.

(٣) سورة طه: ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأراك رجل سوء ! أخرجوه»[١].

فهكذا هي جميع صفات الله تعالى، نؤمن بها ونثبتها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل. فغالب الظن أنها سبق قلم من الشيخ رحمه الله، لم يتعمدها، فهو بحمد الله، كان على العقيدة السليمة والصحيحة، وحسبك أنه اختصر « العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وسماها: [التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة] وفيها: « فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل». فلله الحمد والمنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « لأن الإيمان الحقيقي ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين» ص:٢٥، وقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾[٣] «أي: إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان»[٤].

(١) تفسير القرطبي ١/٢٩١ .

(٢) سورة البقرة: ٨.

(٣) سورة البقرة: ١٣ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن / ص:٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: تعريفه ﷺ للإيمان الحقيقي هنا، بأنه ما تواطأ عليه القلب واللسان، وأن ذاك هو إيمان الصحابة. هذا تعريف ناقص، وهو تعريف الإيمان عند فقهاء المرجئة كما قال ابن تيمية ﷺ: «قال فقهاء المرجئة هو - أي الإيمان - التصديق بالقلب واللسان»[1]. والصحيح أن الإيمان الحقيقي هو: قول وعمل: قول القلب وعمل الجوارح. وللعلماء تعريفات أخرى لا تخرج عن أن كلا من القلب واللسان والجوارح داخلة في مسمى الإيمان، ولذلك يقرن سبحانه الإيمان بالعمل عند ذكر المؤمنين.

وبسط الكلام في الإيمان ليس هنا محل ذكره، وإنما أشرت إلى ذلك إشارة طفيفة حتى لا يظن ظان أن ما ذكره الشيخ ـ هنا ـ هو قول أهل السنة فيغتر به، والحق أن الشيخ ذكر من قبل، القولَ الصحيح في معنى الإيمان فقال: «حقيقة الإيمان هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح،..».

وكذلك في مواضع أخرى من تفسيره ، كما وضح ذلك في الآية ٧٦ من سورة مريم، وكذلك تعريفه للإيمان ـ في كتابه: « التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، حيث قال: « فهو: تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله، ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب

(١) مجموع الفتاوى جزء ١٢ / ٤٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واللسان والجوارح. وهو قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية» ص: ١٥ انتهى كلامه رحمه الله.

وإنما علقت هنا، لأن تعريف الشيخ رحمه الله للإيمان في هذا الموضع، كان مطابقا لما عليه فقهاء المرجئة، وليس ذلك من عقيدته.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ لآية

قال الشيخ رحمه الله: « أي ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك»[1].

قال مقيده ـ عامله الله بلطفه ـ: لم يحصل من الملائكة اعتراض عن ربهم، ولا مخالفة أمره، كيف يقال هذا ؟ وربهم خلقهم مجبولين على الطاعة، وقد قال عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾[2]: وقال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾[3] وفي نفس السورة يقول تعالى عنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٣١.

(٢) سورة التحريم: ٦.

(٣) سورة الأنبياء: ١٩ – ٢٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٦ – ٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذن، قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[١] استفهام منهم على وجه التعجب، لا على وجه الاعتراض، بله مخالفة الأمر أو الإنكار. ولذلك لما علم سبحانه آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)﴾[٢] فهذا تنزيه منهم له جل وعلا عن أن يخلق لغير حكمة، أو يخلق من لا يصدر منه إلا الفساد وسفك الدماء، فهم نظروا إلى الخليفة من جهة واحدة، وعلى قدر ما أطلعهم الله عليه، فلما شخص هذا الخليفة الذي هو آدم عليه السلام وحضر بين أيديهم وقد علمه الله تعالى ما لم يعلموه، لم يكن لهم إلا أن قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أنت العليم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، لا تخفى عليك خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما تخلق وبما تأمر وتنهى وتقضي.

وهذا الذي صدر من الملائكة قريب مما صدر من نوح عليه السلام، فإنه لما أمره ربه بقوله: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾[٣] ظن عليه السلام أن ابنه داخل في أهله،

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٣٢.

(٣) سورة هود: ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلما حال بينهما الموج فكان من المغرقين نادى ربه: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[1] فلا يقال عن هذا النداء: إن نوحا عليه السلام ينكر على ربه أنه أخلفه الوعد فأغرق ابنه . بل دعا نوح ربه بكل أدب وخشوع فيما ظنه، فكان جواب ربه: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾[2]. حينئذ علم نوح عليه السلام أنه أخطأ في ظنه، لما اعتبر ابنه من أهله فاعتذر لربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]. وهكذا ملائكة الرحمن، لما رأوا ما فضل الله به آدم عليهم، علموا أنهم كانوا مخطئين في استفهامهم. و إلا فهم العباد المكرمون، والعباد الذين لا تفتر ألسنتهم عن تسبيح ربهم.

هذا ما بدا لي، واطمأن له قلبي، وقد ذكر القيسي صاحب « مشكل إعراب القرآن»[4] نحو ما علقت به، فقال: « قوله :﴿أتجعل فيها﴾ الألف ألف الاسترشاد وسؤال عن فائدة، وليس هو إنكارا، ولفظه لفظ الاستفهام. وقيل: هو تعجب تعجبت الملائكة من قدرة الله» ا.هـ، والله أعلم ونسبة العلم إليه أسلم.

---

(١) سورة هود: ٤٥.

(٢) سورة هود: ٤٦.

(٣) سورة هود: ٤٧.

(٤) مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (١\١٢٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه، وهو - تعالى - واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم. فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر». [ص: ٦٤].

قال مقيده عفا الله عنه: ليس في الآية إثبات الوجه على القول الصحيح، بل الوجه هنا المراد به القبلة، وبهذا فسر الآية جمع من أهل التفسير، كابن عباس وقتادة ومجاهد. كما جاء في تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقال عكرمة عن ابن عباس: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ قال: قبلة الله أينما توجهت شرقًا أو غربًا. وقال مجاهد: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾ [قال: قبلة الله] حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها: الكعبة[٢].

ومن جعل هذه الآية من آيات الصفات وإثبات الوجه لله تعالى فقد أخطأ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وَذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ «الْوَجْهِ» يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَصْلِ مِثْلَ الْجِهَةِ كَالْوَعْدِ وَالْعِدَةِ وَالْوَزْنِ وَالزِّنَةِ

(١) سورة البقرة: : ١١٥ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير وابن أبي حاتم في تفسيره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالْوَصْلِ وَالصِّلَةِ وَالْوَسْمِ وَالسِّمَةِ لَكِنْ فِعْلُهُ حُذِفَتْ فَاؤُهَا وَهِيَ أَخَصُّ مِنْ الْفِعْلِ كَالْأَكْلِ وَالْإِكْلَةِ. فَيَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى التَّوَجُّهِ وَالْقَصْدِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْت مُحْصِيهِ رَبَّ الْعِبَادِ إلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ.

ثُمَّ إنَّهُ يُسَمَّى بِهِ الْمَفْعُولُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْمُتَوَجَّهُ إلَيْهِ كَمَا فِي اسْمِ الْخَلْقِ وَدِرْهَم ضَرْبِ الْأَمِيرِ وَنَظَائِرِهِ، وَيُسَمَّى بِهِ الْفَاعِلُ الْمُتَوَجَّهُ كَوَجْهِ الْحَيَوَانِ يُقَالُ: أَرَدْت هَذَا الْوَجْهَ أَيْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَالنَّاحِيَةِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أَيْ قِبْلَةُ الله وَوُجْهَةُ الله، هَكَذَا قَالَ جُمْهُورُ السَّلَفِ، وَإِنْ عَدَّهَا بَعْضُهُمْ فِي الصِّفَاتِ وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى الصِّفَةِ بِوَجْهِ فِيهِ نَظَرٌ»[1].

وقال في موضع آخر يحكي فيه عن مناظرته مع المخالفين: « فَأَحْضَرَ بَعْضُ أَكَابِرِهِمْ « كِتَابَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ » للبيهقي رحمه الله فَقَالَ: هَذَا فِيهِ تَأْوِيلُ الْوَجْهِ عَنْ السَّلَفِ فَقُلْت: لَعَلَّك تَعْنِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ فَقَالَ: نَعَمْ . قَدْ قَالَ مُجَاهِدٌ وَالشَّافِعِيُّ يَعْنِي قِبْلَةَ الله . فَقُلْت: نَعَمْ: هَذَا صَحِيحٌ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا وَهَذَا حَقٌّ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ . وَمَنْ عَدَّهَا فِي الصِّفَاتِ فَقَدْ غَلِطَ كَمَا فَعَلَ طَائِفَةٌ ؛ فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ حَيْثُ

(١) مجموع الفتاوى - (٢ / ٤٢٨-٤٢٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وَالْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ الْجِهَاتُ . وَالْوَجْهُ هُوَ الْجِهَةُ ؛ يُقَالُ أَيُّ وَجْهٍ تُرِيدُهُ ؟ أَيْ أَيُّ جِهَةٍ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ أَيْ هَذِهِ الْجِهَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾ أَيْ تَسْتَقْبِلُوا وَتَتَوَجَّهُوا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(٢).

قال الشيخ رحمه الله: « .. فأخبر أنه ممتنع عليه، ومستحيل أن يضيع إيمانكم..»(٣).

قال مقيده ـ عامله الله بلطفه ـ: هذا تحصيل حاصل، لم يفسر ـ رحمه الله ـ الآية، ولم يبين معنى الإيمان في هذه الآية الذي وعد سبحانه أنه لن يضيعه لأهله. وقد عجبت كيف غفل الشيخ رحمه الله عن معنى الآية كما اشتهرت بذلك كتب التفسير، وقد بوب لها البخاري رحمه الله بابا سماه: [باب الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني صلاتكم عند البيت] صحيح البخاري(٤) فالآية على هذا معناها: «ما كان

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٩٣).

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن / ص:٥٣.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يثيبكم عليه». لأن سبب نزول الآية كان سؤالا عمن مات قبل تحويل القبلة، كما ورد في الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه قال: «مات على القبلة، قبل أن تحول إلى البيت، رجال. وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم. فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾».

وذكر ابن كثير في تفسير الآية: « قال ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال: كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء، ينتظر أمر الله، فأنزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1]. فقال رجل من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾..إلخ. وله طرق بنحوه».

وقد اطلعت بعد ذلك على كلام للشيخ رحمه الله في موضع آخر من كتابه: [التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: صفحة ٥٠ـ٥١]، فألفيته على علم بمعنى الآية، لكنه ههنا غفل عنه، والله أعلم وهو الفتاح العليم.

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ذكر الشيخ رحمه الله ههنا حديثا بصيغة الصحة فقال: (وهذا يدل على محبته تعالى، للألفة بين الزوجين، وكراهته للفراق، كما قال النبي ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق »).

قلت: هذا الأثر لا يصح، رغم أن كثيرا ممن ينتسبون إلى العلم يستدلون به، وقد فصل الشيخ الألباني رحمه الله في بيان ضعفه في إرواء الغليل ما لا مزيد عليه فليراجع هناك (٧ / ١٠٦).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة آل عمران

قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[١] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « وفي هذه الآية دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر، وخصلة إيمان، وقد يكون إحداهما أقرب من الأخرى»[٢].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ:

هذا صحيح إن كان العبد قد جمع بين كفر أصغر وبين الإيمان، أما إن جمع العبد بين الكفر الأكبر المخرج من الملة وبين الإيمان، فإنه لا ينفعه حينئذ إيمانه.

وقد أوضح هذا، الإمام ابن القيم بقوله: « .. بل يكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر. ويكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الآخر، فيكون من أهله. كما قال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ وقال﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٣].

أثبت لهم الإيمان به مع مقارنة الشرك، فإن كان مع هذا الشرك تكذيب لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله، وإن كان معه تصديق لرسله

(١) سورة آل عمران: ١٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ١٢٤.

(٣) سورة يوسف: : ١٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهم مرتكبون لأنواع من الشرك لا تخرجهم عن الإيمان بالرسل وباليوم الآخر فهؤلاء مستحقون للوعيد أعظم من استحقاق أرباب الكبائر.

وشركهم قسمان: شرك خفي وشرك جلي. فالخفي قد يغفر، وأما الجلي فلا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة منه فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وبهذا الأصل أثبت أهل السنة دخول أهل الكبائر النار، ثم خروجهم منها، ودخولهم الجنة، لما قام بهم من السببين»[1].

أما هذه الآيات ففي المنافقين، لأن سياق الآية فيه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦)﴾ الله تعالى علم ظهور ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقا ظاهرا وباطنا ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا معنا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ أي: لو نحسن القتال لقاتلنا معكم.

قال تعالى تكذيبا لهم، وإظهارا لنفاقهم ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ وذلك بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين، وكانوا أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر، ولذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا

(١) مدارج السالكين[١ / ص: ٢٨٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ ولو علموا قتالا لم يتبعوكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق(١).

وخلاصة التعليق: إن أراد الشيخ رحمه الله بقوله: « إن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون أحدهما اقرب من الأخرى»، إن أراد بالكفر: الكفر الأكبر، فهذا خطأ، ولا أظنه أراد ذلك. وإن أراد بالكفر: الكفر الأصغر ـ وهذا ظننا به ـ فهذا صحيح وهو قول أهل السنة، والأدلة في ذلك ليس هنا محل ذكرها وبسطها. والله أعلم وهو الفتاح العليم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(٢) الآية.

قال الشيخ رحمه الله: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أي أخرج(٣).

قال مقيده ـ عامله الله برحمته ـ: لو أخذنا بهذا المعنى لكلمة: ﴿زُحْزِحَ﴾ لما سلم أحد من الدخول إلى النار، لأن الشيخ رحمه الله فسرها « أخرج»، ومعنى ذلك، أي كان في النار ثم أخرج منها. وهذا غير مراد بالآية، بل معنى ﴿زُحْزِحَ﴾: أي جُنبها وأُبعد عنها.

وكما قال الزمخشري: « الزحزحة: التنحية والإبعاد تكرير الزح، وهو

(١) نقلا عن تفسير جلال الدين السيوطي بتصرف يسير.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن / ص:١٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجذب بعجلة»[١]، والتعبير يوحي بالدقة في الحساب، إذ يكفي حسنة واحدة تزحزح العبد عن النار.

ولذلك فسرها السيوطي رحمه الله بقوله: «﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ بعُد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية المطلوب..».

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: « ومعنى (زحزح) أبعد . وحقيقة فعل زحزح: أنها جذب بسرعة وهو مضاعف زحه عن المكان، إذا جذبه بعجلة»[٢].

وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: « إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة، فإنه يمشي [قال أبو توبة وربما قال: يُمسي] يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[٣].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا « من سره أن يزحزح عن النار، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه».

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

---

(١) الكشاف للإمام الزمخشري ١/ ص:٢٢٥ .

(٢) التحرير والتنوير[١ / ٨٦٩].

(٣) رواه مسلم في صحيحه والطحاوي وابن حبان وصححه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة النساء

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾[١] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد، فقال: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ ﴾ أي أيها المؤمنون ﴿ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ضعفا وخورا، وجبنا. هذا هو الصحيح »[٢].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: هذا قول ضعيف، وفهم للآية يجب تنزيه الصحابة رضي الله عنهم عنه. إذ أن صحابة رسول الله ﷺ، مهما قد يضعف بعضهم في بعض المواطن، فلن يبلغ به أن يقول: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ ولنا في الثلاثة الذين خُلفوا ـ كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي ـ رضي الله عنهم حجة على أن ما ذهب إليه الشيخ في تفسيره واختاره من بين أقوال المفسرين، لا يليق أبدا بالصحابة. فإن أولئك الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قد ندموا ندما شديدا، وتابوا إلى الله توبة نصوحا، ونزل فيهم قرآن يُتلى، ووصفهم ربهم بالصدق مناديا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء: ٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ١٥٠.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا استقر في أذهاننا أن هذا هو حال الصحابة، علمنا حينئذ أن الآية نزلت في المنافقين وليست فيهم، فيكون المعنى: ﴿ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أي: منكم في الظاهر. وهكذا كان حال المنافقين، فهم مع المؤمنين في الظاهر، يُصلون معهم، ويتجمعون في مجالسهم، ولكن قلوبهم فارغة من الإيمان، ولذلك قال سبحانه: ﴿لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ أي: ليتأخرن عن القتال، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وأصحابه، فهم الذين يتثاقلون عن الجهاد، ويثبطون غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل أو هزيمة ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾أي حاضرا معهم فأُصاب. جعل تخلفه عن النبي ﷺ نعمة، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا ﴾ أي المنافقون ﴿قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي حين تخلفنا عن النبي وأصحابه من قبل أن تحُل بهم هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾بما أصابك. ولذلك قال هنا في «سورة النساء»: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح أو غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادما متحسرا ﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ معرفة وصداقة في الظاهر، لا في الباطن، يقول متأسفا على ما فاته ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا

(١) سورة الأحزاب ١٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَظِيمًا ﴾. فهذا حال المنافقين، كما قال قتادة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ. . . ﴾[١]، قال: « أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق . .»[٢].

فهذا ما ترجح لدي في الآية، والله أعلم وهو الفتاح العليم.

وأما استشكال الشيخ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ أي من المؤمنين، لأن «من» للتبعيض، وعلى هذا فإن الآية تصف ضعاف الإيمان، وكذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾، ومعلوم أن المودة بين المؤمنين والمنافقين منتفية... إلخ. فهذا ـ وبالله التوفيق ـ لا إشكال فيه: فأما « منكم» أي في الظاهر. وأما « المودة» فهي الأخرى في الظاهر، إذ هناك منافقون يكتمون بغضهم وحقدهم على المسلمين، فلا يظهر نفاقهم إلا في مواقف ومواطن، كالجهاد وغيره. كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣].

يقول ابن كثير رحمه الله: « يقول عز وجل: ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين،

(١) سورة الأحزاب ١٨-١٩.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير الآية.

(٣) سورة محمد: ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سترا منه على خلقه، وحملا للأمور على ظاهر السلامة، وردا للسرائر إلى عالمها ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هم بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول .. إلخ». انتهى كلامه رحمه الله نقلا من تفسيره.

وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِالله إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[1]. قال ابن القيم رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: «ألم نكن معكم نصوم كما تصومون ونصلي كما تصلون ونقرأ كما تقرؤون ونتصدق كما تصدقون ونحج كما تحجون، فما الذي فرق بيننا اليوم حتى انفردتم دوننا بالمرور؟ (قالوا بلى) ولكنكم كانت ظواهركم معنا وبواطنكم مع كل ملحد وكل ظلوم كفور»[2]. والآيات في ذكر أوصاف المنافقين ـ سواء في القرآن أو في الأحاديث النبوية ـ يطول ذكرها.

و بالجملة: فالمنافقون كانوا على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة أصناف: صنف أطلعهم الله تعالى على نبيه، وصنف يتوسم فيهم النفاق، تارة بسيماهم وتارة في لحن القول، وصنف لم يُطلعه سبحانه عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ

(١) سورة التوبة ٥٦.

(٢) مدارج السالكين ١ / ٣٥٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[١]. فإذا كان هذا حال النبي ﷺ معهم، فكيف بعامة المؤمنين ؟ لا شك أنهم كانوا يحسبونهم منهم، ولربما وقعت بينهم مودة وصداقة، حتى إذا نزل البلاء، ظهر المؤمن من المنافق، والكاذب في إيمانه من الصادق، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾[٢]. فالآيات في هذا كثيرة، والحديث عن النفاق وأهله يكاد القرآن المدني أن يكون أكثره في ذكرهم وفضحهم لكثرتهم على ظهر الأرض وباطنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول ابن القيم رحمه الله عنهم: « كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسباب المعايش وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات.

سمع حذيفة رضي الله عنه رجلا يقول: « اللهم أهلك المنافقين»، فقال: « يا ابن أخي: لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك»[٣].

---

(١) سورة التوبة: ١٠١.

(٢) سورة العنكبوت: ١ إلى ١٠.

(٣) مدارج السالكين ١ / ٣٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « أي: لا بهواك، بل بما علمك وألهمك..»[1].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: لو أن الشيخ اكتفى بقوله: « بما علمك الله وألهمك»، لكان أولى وأحوط من أن يقول: « لا بهواك». إذ قد عُلم أن الله تعالى عصم نبيه من أن يكون له هوى كهوى البشر، ولذلك زكى سبحانه منطقه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾النجم: ٣.

وروى البخاري في صحيحه من حديث عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾[2] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك».

وأما هل كان النبي ﷺ يجتهد رأيه قبل أن يوحى إليه؟ فهذه مسألة أخرى، والجواب عليها، أنه ﷺ كان يجتهد رأيه، فإن أخطأ صوبه الوحي وعدله، كاجتهاده في أسرى بدر، وإذنه للمتخلفين. وهو القائل: « إنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص: ١٦٣.

(٢) الأحزاب: : ٥١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار».

متفق عليه من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة المائدة

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا.. ﴾ الآية.

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ من فوائد الآية: « الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي منهما عليه أن ينوي، ثم يعم بدنه، لأن الله لم يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء»[1].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: هذا الذي ذكره الشيخ، هو قول الأئمة الأربعة، ولكن الإمام أبا حنيفة وأحمد يشترطان المضمضة والاستنشاق.

والأفضل والأكمل أن يتوضأ ثم يغسل سائر بدنه، ولا يعيد الوضوء، وهذا فعل النبي ﷺ.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، عن رجل اغتسل ولم يتوضأ فهل يجزيه ذلك أم لا ؟

فأجاب: « الأفضل أن يتوضأ ثم يغسل سائر بدنه ولا يعيد الوضوء كما كان النبي صلى الله وسلم يفعل، ولو اقتصر على الاغتسال من غير وضوء أجزأه ذلك في المشهور من مذهب الأئمة الأربعة، لكن عند أبي

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص:١٨٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حنيفة وأحمد: عليه المضمضة والاستنشاق، وعند مالك والشافعي: ليس عليه ذلك، وهل ينوي رفع الحدثين فيه نزاع بين العلماء، والله أعلم»[١].

قال الشيخ رحمه الله في نفس الآية: « الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به».

قال مقيده ـ عامله الله بلطفه ـ: إن أراد بالأمر، أمر ندب واستحباب، فهو كما قال. وإن أراد أمر وجوب فخطأ، ولا أظنه أوجب الوضوء عند كل صلاة، لأن هذا لم يقل به أحد مما يعتد بعلمه فيما اطلعت عليه.

والدليل على أن الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، إنما هو أمر ندب واستحباب، قول بريدة رضي الله عنه: « كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوء واحد، فقال له عمر: يا رسول الله، إنك فعلت شيئا لم تكن تفعله، فقال: عمدا فعلته يا عمر»[٢].

وعن عمرو بن عامر الأنصاري رضي الله عنه عن أنس رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة . قلت كيف كنتم تصنعون؟ قال يجزئ أحدنا الوضوء ما لم يحدث»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى [ج ٢١ / ٢٩٩] .

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحيحه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وإنما تكلم الفقهاء فيمن صلى بالوضوء الأول هل يستحب له التجديد ؟ وأما من لم يصل به فلا يستحب له إعادة الوضوء، بل تجديد الوضوء في مثل هذا بدعة مخالفة لسنة رسول الله ولما عليه المسلمون في حياته وبعده إلى هذا الوقت»[1].

انتهى.

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

(١) مجموع الفتاوى جزء ٢١ / ٣٧٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الأعراف

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الشيخ رحمه الله: « (قَالَ سُبْحَانَكَ) أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك (تُبْتُ إِلَيْكَ) من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك».

قال مقيده: التوبة هنا من سؤال الرؤية كما قال مجاهد، وسؤال الرؤية ليس ذنبا فضلا عن أن يكون سوء أدب، ولكنه سؤال ما لا ينبغي، كحال نوح عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[1]، فعاتبه ربه بقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

---

(١) هود: : ٤٥.

(٢) هود: : ٤٦ ، ، ٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك قال الإمام القرطبي في تفسير الآية ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: «وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون».

والله أعلم وسيأتي الكلام عن عصمة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة..﴾ الآية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة التوبة

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾.

قال الشيخ رحمه الله: (أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: ﴿ائْذَنْ لِي﴾ في التخلف ﴿وَلا تَفْتِنِّي﴾ في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك «الجد بن قيس») ص٣٣٩.

قال مقيده: هذا الأثر ـ وإن كان مشهورا في كتب التفسير إلا أنه لا يصح ـ فقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، قال حدثنا أبي ثنا دحيم بن إبراهيم الدمشقي ثنا عبد الرحمن بن بشير عن محمد بن إسحاق ثنا سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لجد بن قيس...إلخ.

قلت: عبد الرحمن بن بشير الدمشقي: عن محمد بن إسحاق قال أبو حاتم منكر الحديث انتهى. وفي مجمع الزوائد وثقه ابن حبان. قال ابن أبي حاتم: وروى أيضاً عن عمار بن إسحاق عن محمد بن المنكدر وعنه زهير بن عباد الرواسي، قال أبي: يروي عن أبي إسحاق غير حديث منكر، وذكره ابن حبان في الثقات فقال: يروى عن محمد بن إسحاق بن يسار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المغازي. روى عنه سليمان بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقيان، وقال صالح جزرة: لا يدرى من هو ولا يعرف حدثنا عن دحيم. قلت: بل روى عنه جماعة فلا يضره عدم معرفة جزرة وقال أبو الحسن بن سميع وذكره محمد بن عائذ بخير وذكر أنه قد سمع وقال علي بن الحسن الكرخي: حدثنا الباغندي حدثنا دحيم حدثنا عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وكان ثقة، وقال أبو زرعة الدمشقي:حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن بشير قال: أنا أصلحت إعراب كتب محمد بن إسحاق[1].

رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن محمد بن عبد الله الْحُضْرَمِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى الْحِمَّانِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بن عُمَارَةَ عَنْ أَبِي رَوْقٍ عَنِ الضَّحَّاكِ بن مُزَاحِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ثم ذكر الأثر.

قلت: بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي ضعفوه. قال الحافظ: « روى عن أبي روق عطية بن الحارث والأحوص بن حكيم وغيرهما.

وعنه منجاب ابن الحارث وجبارة بن المغلس ويحيى الحماني وعون بن سلام ومحمد بن الصلت الأسدي وغيرهم.

قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، وقال البخاري: يعرف وينكر وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن حبان: كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: لم أر في أحاديثه منكرا وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب.

(١) قاله الحافظ ابن حجر في لسان الميزان - (٢ / ٨٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قلت: وقال البرقاني عن الدارقطني: متروك، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال الساجي مثل البخاري». انظر تهذيب التهذيب - (١/ ٣٩٨ - ٣٩٩).وهذا الأثر ضعفه كذلك الشيخ الألباني في فقه السيرة (١/ ٤٠٦).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « [و] كذلك لقد تاب (على الذين خلفوا) عن الخروج مع المسلمين في تلك الغزوة ..»[1].

قال مقيده - غفر الله له -: أخطأ الشيخ رحمه الله في فهمه للآية، إذ جعل (خلفوا) أي عن الخروج مع المسلمين في تلك الغزوة، وليس الأمر كذلك، بل خلفوا عن التوبة، كما صح ذلك عن كعب بن مالك رضي الله عنه، وهو أحد الثلاثة، إذ قال في آخر خبره: « وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص:٣١٢.

(٢) الحديث بطوله متفق عليه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتفسير الصحابي الذي بسببه نزلت الآية، كاف في أنه الصواب، فلا بيان بعد هذا البيان.

ولقد نظرت بعد ذلك في تفسير ابن كثير لما تيسر لي ذلك، فألفيته يقول نفس هذا القول، فإنه ساق قصة كعب بن مالك بطولها، ثم قال: « هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته، رواه صاحبا الصحيح البخاري ومسلم، من حديث الزهري بنحوه، فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها، وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها ..» إلخ.

وكذلك قال السيوطي في تفسيره: « (و) تاب ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾».

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] الآية

قال الشيخ رحمه الله: « ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: القاعدون».

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: إن أردنا أن ننسب التفقه في الدين إلى القاعدين، فعلينا أن نُقدر جملة محذوفة تقديرها: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ وقعد فريق منهم ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، وهذا فيه تكلف تستغني عنه الآية، خاصة وأن تتمة الآية فيها: ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فمم سينذر القاعدون المجاهدين ؟ ومم سيحذرونهم ؟

نعم، قد ذهبت طائفة من السلف والخلف إلى هذا القول، ولكن إذا اعتبرنا صحة سبب النزول، وإلا فأسانيد الخبر لا تخلوا من كلام، ثم لو صح سبب النزول لبقي سبب ثاني يتعذر معه الأخذ به، وهو وجود النبي ﷺ، وهذا ما يُفهم من قول ابن عباس وقتادة والضحاك. فلما انتفى وجود النبي ﷺ، كان أقرب الأقوال صحة، من جعل ضمير ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ يرجع إلى المجاهدين، فإنهم هم الذين إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم وحذروهم من أعدائهم، أو مما قد يصيبهم إن هم لم يؤمنوا، وهذا هو الأنسب في سياق الآية.

فقد جاء في تفسير ابن كثير قوله: « وقد يقال إن هذا بيان لمراده تعالى من نفير الأحياء كلها وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو، فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبعده ﷺ تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه، وإما للجهاد فإنه فرض كفاية على الأحياء».

وقال الحسن البصري في الآية: «ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم».

قال الطبري في تفسيره: « وأما قوله: ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا، ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك - إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ يقول: لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه لأن (النفر) قد بينا فيما مضى، أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء، أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه وكان جل ثناؤه قال: ﴿فلولا نفر من كل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ علم أن قوله: ﴿ليتفقهوا﴾ إنما هو شرط للنفر لا لغيره، إذ كان يليه دون غيره من الكلام.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون معناه: ليتفقه المتخلفون في الدين ؟

قيل: ننكر ذلك لاستحالته، وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه.

وبعد فإنه قال جل ثناؤه: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ عطفا به على قوله: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها وللإنذار وخوف الوعيد نفرت فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ما لم تعاين المقيمة، ولكن ذلك ـ إن شاء الله ـ كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه: أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك ..إلخ». والله أعلم وهو يهدي السبيل.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة: ٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكر الشيخ رحمه الله عند هذه الآية حديث: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[1].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: هذا حديث ضعيف، ولعل الشيخ رحمه الله غرَّهُ تصحيح الإمام النووي له، أو أنه تساهل في نقله رغم ضعفه، لأنه ليس في الأحكام، إذ هناك من يتساهل في ذكر الأحاديث الضعيفة والاستشهاد بها إذا ما كانت أخبارا تحُث على الأخلاق والزهد والأدب، أما في الأحكام فلا يقبلون إلا ما صح. ولكن الصواب هو رد الأحاديث الضعيفة، وعدم نشرها بين الناس، ففي الأحاديث الصحيحة غنى في ذكر الأخلاق، والزهد، والأدب، وغير ذلك، وهذا موضوع يطول ذكره، ليس هنا محل بسطه.

أما الحديث الذي بين أيدينا، فسأنقل كلام أهل العلم فيه، ويكفي في ذلك ما ذكره الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه: [جامع العلوم والحكم].

قال رحمه الله: « تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه:

منها: أنه حديث يتفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هذا، وإن كان وثقه جماعة من الأئمة وخرج له البخاري، فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن، لصلابته في السنة، وتشدده في الرد على أهل الأهواء، وكانوا ينسبونه إلى أنه يهم، ويشبه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثر عثورهم على

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص ٣٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناكيره، حكموا عليه بالضعف، فروى صالح بن محمد الحافظ عن ابن معين، أنه سئل عنه، فقال: ليس بشيء، ولكنه صاحب سنة.

وقال صالح: وكان يحدث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة، لا يتابع عليها.

وقال النسائي:

ضعيف، وقال مرة: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين في أحاديث كثيرة، فصار في حد من لا يحتج به.

وقال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديث يوقفها الناس، يعني أنه يرفع الموقوفات.

وقال أبو عروبة الحراني: هو مظلم الأمر.

وقال أبو سعيد بن يونس:

روى أحاديث مناكير عن الثقات، ونسبه آخرون إلى أنه كان يضع الحديث، وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي، وأصحاب هشام بن حسان، وأصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى يتفرد به نعيم ؟.

ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده، فروي عنه، عن الثقفي، عن هشام، وروي عنه عن الثقفي، حدثنا بعض مشيختنا هشام أو غيره، وعلى هذه الرواية، فالثقفي رواه عن شيخ مجهول، وشيخه رواه عن غير معين، فتزداد الجهالة في إسناده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري، ويقال فيه: يعقوب بن أوس، وقد خرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه حديثا عن عبد الله بن عمرو، ويقال: عبد الله بن عمر، وقد اضطرب في إسناده، وقد وثقه العجلي، وابن سعد، وابن حبان، وقال ابن خزيمة: روى عنه ابن سيرين مع جلالته، وقال ابن عبد البر: هو مجهول. وقال الغلابي في «تاريخه»: يزعمون أنه لم يسمع من عبد الله بن عمرو، فعلى هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو منقطعة، والله أعلم»[1].

وكذلك ضعفه الشيخ الألباني رحمه في تخريج الظلال[2].

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

قال الشيخ رحمه الله: «وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له «ثعلبة»، جاء إلى النبي ﷺ، وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله،

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٤_٣٩٥.

(٢) جزء ١/ ٦٠٨ وقال: " أخرجه الخطيب البغدادي في التاريخ: : ٤ / ٣٦٩ والبغوي في شرح السنة برقم: ١٠٤ وابن أبي عاصم في السنة برقم: : ١٥ وابن بطة في الإبانة: : ١ / ٣٨٧ وقال النووي في الأربعين: : حديث صحيح وفيه نعيم بن حماد مختلف فيه ".

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنه إن أعطاه، ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على النوائب، فدعا له النبيﷺ، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى، حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة.

ففقده النبيﷺ، فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاءوا فأخبروا بذلك النبيﷺ فقال: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة» ثلاثا.

فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبيﷺ، ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبيﷺ فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال: إنه هلك في زمن عثمان».

قال مقيده عفا الله عنه: هذه القصة وردت عن ثعلبة بن حاطب، أنه قال لرسول اللهﷺ: ادع الله أن يرزقني مالا ! فقال رسول اللهﷺ: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ! قال: ثم قال مرة أخرى فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت ! قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ! فقال رسول اللهﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالا ! قال: فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ: ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا: يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ! فأخبروه بأمره فقال: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة !

قال: وأنزل الله:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾[1] الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة: رجلا من جهينة ورجلا من سليم. وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مُرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما ! فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أخت الجزية ! ما أدري ما هذا ! انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك قال: بلى فخذوه فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي ! فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال: أروني كتابكما !

فنظر فيه فقال: ما هذه إلا أخت الجزية ! انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلمهما

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، والذي صنع السلمي. فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)﴾ إلى قوله: ﴿ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة ! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك»، فجعل يحثي على رأسه التراب. فقال له رسول الله ﷺ: هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني !

فلما أبى أن يقبض رسول الله ﷺ رجع إلى منزله. وقُبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا، ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي ! فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها ! فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولي عمر أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي ! فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ! فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه»[1].

(١) تفسير الطبري ٦ / ٤٢٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقصة أوردها أيضا السيوطي في لباب النقول، ثم قال عن الحديث: «أخرجه الطبراني و ابن مردويه و ابن أبي حاتم و البيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة، وأخرج ابن جرير و ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه»[1].

وقد عجبتُ لابن كثير كيف ذكر القصة دون بيان ضعفها، ولعل هذا الذي جعل الشيخ رحمه الله يستأنس بها ويذكرها دون بيان ضعفها، ولهذا نسمع كثيرا من ألسنة بعض العلماء والدعاة يروونها دون تحفظ ودون تثبت من صحتها. والله الموفق وهو الفتاح العليم.

(١) لباب النقول في أسباب النزول: ١ / ١١٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة هود

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[1]...الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « أي خالدين فيها أبدا إلا المدة التي شاء الله أن لا يكونوا فيها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا، راجع إلى ما قبل دخولها»[2].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: الخُلد هو الدوام والبقاء مدة طويلة، أما دوام البقاء الذي لا نهاية له، فإن الله تعالى يصفه بالأبدي، فيقول: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ومن ثم فالذي جعل الشيخ يختار ما ذهب إليه، هو ظنه أن الخلود في الآية أبدي، فلابد أن يكون الاستثناء ـ على هذا ـ راجعا إلى ما قبل دخول النار، لأن الخلود الأبدي هو في حق الكفار، فإذا ما جعل الاستثناء يشملهم فربما ظن ظان أنه يمكن أن تحصل لهم من الله شفاعة. وهذا لم يأت ذكره في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، ومحال أن يسوي الحق سبحانه بين المسلمين والمجرمين.

---

(١) سورة هود: ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٣٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمسألة في الحقيقة ليست كذلك، فإن الآية تشير إلى أن الذين شقوا من الكفار والمشركين وعصاة الموحدين ـ الذين ما زالت آثام وذنوب تدنسهم ـ، سيدخلون النار، ثم يتفضل الرحمن سبحانه على المؤمنين فيشفع فيهم، ويدخلهم الجنة، فهؤلاء هم المستثنون من الخلود الأبدي لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ومما أراده ولا منازع لما قضاه أن يخرج من النار من قال: « لا إله إلا الله» خالصا من قلبه، رحمة منه وفضلا، وأن يُخلد فيها من مات مشركا وكافرا، قسطا منه وعدلا.

وأما أهل الجنة فقال سبحانه عنهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ فمجيء هذا الاستثناء هنا، ليعلم أهل الجنة أنهم ما دخلوها إلا فضلا منه ورحمة، ثم لما كان هذا الاستثناء قد يُفهم منه انقطاع النعيم ولو بعد أمد طويل، ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾[1].

ولما كتبت هذا التعليق، ترددت شيئا ما، لأن الشيخ رحمه الله، قال عن تفسير الآية: «كما قاله جمهور المفسرين»، فخشيت أن يكون تعليقي مخالفا لقول الجمهور، حتى حصلت على تفسير ابن كثير، فنظرت في معنى الآية، فألفيته مطابقا لما ذهبت إليه، فلله الحمد والمنة.

---

(١) سورة ص، الآية: ٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا نص كلامه رحمه الله: « وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه [زاد المسير] وغيره من علماء التفسير. ونقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان. ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضا، أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حتى يشفعوا في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وقال يوما من الدهر: «لا إله إلا الله» كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها، ولا محيد له عنها. وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة»[1].

قال مقيده: وهذا يرد على ما ادعاه الشيخ من أن جمهور المفسرين جعلوا الاستثناء راجعا إلى ما قبل دخولها. والصواب ما بينته، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

والله أعلم بمراد كلامه، وهو الفتاح العليم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ٦٠٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الرعد

قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾.

قال الشيخ رحمه الله: « يمحو الله ما يشاء من الأقدار، ويثبت ما يشاء منها.. »[1].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: إن أراد بالأقدار، الكونية منها والشرعية، فهو كذلك، وإن أراد بالأقدار، الكونية دون الشرعية فخطأ. لأن الحق سبحانه قال قبلها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)﴾ فقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)﴾

معناه: لكل مدة كتاب مكتوب فيه تحديده، ثم قال عن هذا الكتاب ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ أي منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ فيه ما يشاء من الأحكام وغيره، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص ٣٧٤.

(٢) قاله السيوطي رحمه الله في تفسيره .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذه الآية شبيهة بالتي في آل عمران: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ..﴾ [إلى قوله] ﴿ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الآية. وعلى هذا يدخل في آية الرعد، الناسخ والمنسوخ، فقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي ينسخ من الأحكام ما يشاء، ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ أي الحكم. كما قال سبحانه: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ الآية.

وحين كتبتُ التعليق، لم تكن بين يدي كتب التفسير، فلما اطلعت فيها لأتحقق مما ذهبت إليه، وجدت قتادة يفسر الآية بما ذكرته، وكذلك رواية عن ابن عباس، فلله الحمد والمنة.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وبالجملة، فالآية من سورة الرعد، تشير إلى أنه سبحانه يقضي ما يشاء، ويأمر بما يشاء، وينهى عما يشاء، لحكمته البالغة، وحجته الدامغة، ولا يؤثر ذلك في أم الكتاب، الذي هو اللوح المحفوظ، وهو الأصل، لأنه مكتوب فيه بعلم الله، ما سيكون من الأقدار الكونية والشرعية، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء. والله أعلم، وهو الفتاح العليم.

---

(١) سورة الحج: ٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة النحل

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[١] الآية.

قال الشيخ رحمه الله: « أي: في وقت رواحها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك»[٢].

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: ما ذكره الشيخ رحمه الله هو جزء مما في الآية، ويمكن أن يكون تفسيرا للآية قبلها: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٣]، أما الآية التي بعدها، فهي التفات إلى نعمة أخرى في الأنعام، وهي جمال خلقتها عند حركتها، وسكونها. ومن ثم قيد سبحانه هذا بوقتين: العشي والغداة، بقوله تعالى: ﴿ تُرِيحُونَ﴾ أي لكم في الأنعام جمال حين تردونها إلى مراحها بالعشي.

﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي وحين تخرجون إلى المرعى بالغداة.

---

(١) سورة النحل: ٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٣٨٩.

(٣) سورة النحل: ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما لو كان سبحانه يريد بالجمال في الآية: جمال الثياب التي تصنع من جلودها وأوبارها وصوفها. كما أشار الشيخ إلى ذلك، بقوله: « فإنكم أنتم الذين تتجملون بها ..»، لو أراد سبحانه هذا المعنى، لقال: «ولكم منها جمال»، ولما قيده - أي الجمال -، بقوله:

﴿ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

فإن قال قائل: أليس الناس يتجملون بالملابس المصنوعة من جلود الأنعام وأصوافها؟ قلنا له: بلا، ولكن الآية بعينها لم تشر إلى ذلك لا من قريب، ولا من بعيد، فضلا أن يكون ظاهرها هو المراد بذلك، والله أعلم، وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الكهف

قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ الآية.

قال الشيخ رحمه الله «.. وجدا عبدا من عبادنا وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، لا نبيا على الصحيح»(١).

وقال أيضا في فوائد القصة: «ومنها: أن ذلك العبد ـ الخضر ـ الذي لقياه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية»(٢).

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: ذهب الشيخ رحمه الله إلى قول طائفة من المفسرين، على أن الخضر كان وليا صالحا، ولم يكن نبيا. والصحيح أن الخضر كان نبيا، وأما استدلال الشيخ بالآية على ولايته دون نبوته، فحجة عليه وليست له، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: قول الشيخ: «ليس نبيا، بل عبدا صالحا لأنه وصفه بالعبودية». قال مقيده: إن مقام العبودية هو مقام الأنبياء والرسل، ولذلك وصف سبحانه نبيه محمدا ﷺ بها في مواضع من القرآن، منها: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾(٣) الآية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٤٣١.

(٢) نفس المصدر / ص: ٤٣٣.

(٣) البقرة: ٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[١] الآية، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[٢] وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[٣] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٤] الآية.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[٥].

قال الشيخ: أي فقتلته لاطلاعي على ذلك..»[٦].

قال مقيده: من أطلع الخضر على أن هذا الغلام إن عاش وبقي إلى كبره فسيكون كافرا؟ إن كان الله هو الذي أطلعه ـ وهو كذلك ـ فقد أوحى إليه، فهو إذن نبي، كما جاء عن أبي بن كعب قال: « سمعت رسول

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) الجن: ١٩.

(٣) الكهف: ١.

(٤) الحديد: ٩.

(٥) سورة الكهف: ٨٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٤٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ﷻ يقول في قوله ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ « وكان طبع يوم طبع كافرا». رواه مسلم والترمذي وأبو داود واللفظ له. وإن لم يكن بوحي كوحي الأنبياء، فهو إلهام، كالذي حصل لأم موسى عليه السلام، ولكن هذا مستبعد، لأن الملهم لا يصل إلى درجة قتل صبي، بحجة الإلهام، أو الولاية.

الوجه الثالث: قول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[1] أي: هذا الذي فعلته في الأحوال الثلاثة... لكني أُمرت به ووقفت عليه». وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام.هكذا جاء في تفسير ابن كثير، وهو مما زادني يقينا.

كما وانتصر ابن كثير لهذا القول في كتابه: « قصص الأنبياء»، وهذا نص كلامه: « وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥)﴾[2].

الثاني: قول موسى له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا

(١) سورة الكهف: ٨٢.

(٢) سورة الكهف: ٦٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[1] فلو كان وليا وليس بنبي لم يخاطبه بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد. بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه فلو كان غير نبي لم يكن معصوما ولم تكن لموسى - وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة - كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عنه، ولو أنه يمضي حقبا من الزمان.

قيل: ثمانين سنة، ثم لما اجتمع به، وتواضع له وعظمه واتبعه في صورة مستفيد منه. فدل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه. وقد خص من العلوم اللَّدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم. وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام.

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل الغلام، وما ذلك إلا للوحي إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى في خلده، لأن خاطره ليس بواجب العصمة. إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق، ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذي لم يبلغ الحلم، علما منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه. ففي قتله مصلحة

(١) سورة الكهف: ٦٦ - ٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عظيمة تربو على بقاء مهجته، صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته دل ذلك على نبوته، وأنه مؤيد من الله بعصمته.

وقد رأيت الشيخ أبا الفرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه وحكى الاحتجاج عليه الرماني أيضا.

الرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[1] يعني ما فعلته من تلقاء نفسي بل أمر أمرت به وأوحى إلي فيه.

فدلت هذه الوجوه على نبوته، ولا ينافي ذلك حصول ولايته، بل ولا رسالته. كما قاله آخرون.

وأما كونه ملكا من الملائكة فقول غريب جدا. وإذا ثبتت نبوته ـ كما ذكرناه ـ لم يبق لمن قال بولايته، وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه»[2].

(١) سورة الكهف: ٨٢.

(٢) قصص الأنبياء ١ / ٤٢٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة طه

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « حتى إن الله أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من ذلك»[٢].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: « لا يقال عن الحيوان البهيم، أن له عقلا، أو له من العقل ما يتمكن به من ذلك. على حد تعبير الشيخ. لأن العقل هو مما أنعم الله به على الإنسان ليعقل به الأشياء، فيقدم على ما فيه الخير، ويحجم عما فيه الشر. لذلك كان شرطا من شروط أحكام الشرع التكليفية، وأيضا قيل عن تعريف العقل: « هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان»، وهذا لا أظنه يخفى على الشيخ رحمه الله. أما الحيوان البهيم فمفطور على ما جبله الله تعالى عليه، ومنقاد له بما هداه إليه، ولذلك فهو غير مكلف بالأوامر والنواهي، لأنه غير مختار، ولكن الله تعالى هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه بقدرته الباهرة، كما قال في سياق آخر: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣].

---

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٤٥٦.

(٣) سورة الأعلى: ٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قيل: ﴿ قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به. يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله تعالى. وهدايات الإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع، وشوط بطين، لا يحيط به وصف واصف، فسبحان ربي الأعلى»[1].

وقال عن النحل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[2]. فهذا إلهام منه سبحانه إلى النحل، وهو المراد بالهداية، كما قال البغوي في تفسيره: «﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ أي: ألهمها وقذف في أنفسها ففهمته. والنحل: زنابير العسل واحدتها نحلة»[3]. والله أعلم.

(١) تفسير القرطبي ٢٠ / ١٧ .

(٢) سورة النحل: ٦٨.

(٣) تفسير البغوي ١ / ٢٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « يذكر الله فيه إذ أتى على قصة السحرة أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح. والجزم بوقوعه أو عدمه يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره. ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله ولاتفق الناقلون على ذلك».

قال مقيده: لم يذكر سبحانه، هل فعل فرعون ما توعد به السحرة حين أعلنوا إيمانهم، لأنه قد عُلم من جبروت وطغيان فرعون أنه إذا هدد بالقتل قتل، ولا يتردد طرفة عين، فإنه ليس أول مرة سيصدر منه سفك الدماء. ألم يُذبح الأطفال ؟ ألم يقل سبحانه: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ أي يوتد الناس بالأوتاد. كما قال مجاهد وابن جبير والحسن.

وقال السدي: كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة، فتشدخه[٢]. لذلك اكتفى سبحانه بذكر ما أوعد به فرعونُ السحرة، ثم أسدل الستار، لأنه ـ لعنه الله ـ لم يكن يخشى الجبار. ومن ثم قال ابن كثير في الآية: (والظاهر أن فرعون ـ لعنه الله ـ صمم على ذلك، وفعله بهم رحمة لهم من الله، ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: «أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء»). ا.هـ

(١) سورة طه: ٧١.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما قول الشيخ رحمه الله: « ولم يأت في ذلك حديث صحيح».

فهذا حق، ولكن ليست كل آية في القرآن ثبت فيها حديث صحيح، ولو اعتمدنا على قول الشيخ، لكان مناقضا ورادا لكثير مما جاء في تفسيره. فهو مثلا ذكر قصة الغرانيق وهي رواية منكرة وباطلة، وفسر الآية الثالثة والعشرين من سورة « ص» بما لا يصح، ورجح كون الخضر وليا وليس نبيا من غير أثر صحيح ...إلخ. وهذا يدلك على أن العصمة لكتاب الله تعالى، ثم لما أجمعت علية الأمة. والله أعلم وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الأنبياء

قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾[١] الآية

قال الشيخ رحمه الله: « ولكنه عليه السلام ذهب مغاضبا وأبق عن ربه لذنب من الذنوب التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[٢].. »[٣].

قال مقيده: «لم يُذكر عن نبي الله يونس عليه السلام أنه أذنب ذنبا، ولأجله أبق عن ربه، كما ذكر الشيخ، وإنما الذي ذكره ابن كثير في تفسيره: أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى ـ وهي قرية من أرض الموصل ـ فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وسخالها، فرفع الله عنهم العذاب. قال الله تعالى :﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٢) سورة الصافات: ١٤٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٤٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾»[١].

ثم إن الأنبياء قد عصمهم ربهم جل وعلا من الذنوب، صغيرها وكبيرها، كما قال صاحب الفرق بين الفرق: « قال شيخنا أبو الحسن الأشعري في بعض كتبه: إن الأنبياء بعد النبوة معصومون من الكبائر والصغائر».

نعم، قد يكون الابتلاء الذي ابتلي به يونس عليه السلام، هو خروجه من القرية، وتركه القوم من قبل أن يوحى إليه، فاعتُبر ذلك ذنبًا في حقه، ثم رجع مرة أخرى إلى قومه، وكشف عنهم العذاب. كما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٢]، وعلى هذا ظن الشيخ أن يونس عليه السلام أذنب، فلذلك وقع له ما وقع. وسنبين في سورة « ص» إن شاء الله، أن الأنبياء قد عصمهم الله تعالى من تعمد الذنب، صغيرا كان أو كبيرا.

والله أعلم، ونسبة العلم إليه أنسب.

ولعل الشيخ رحمه الله، قال ما قال، لأن ابن جرير ـ رحمه الله ـ قال في تفسيره: (حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني ابن إسحاق عمن حدثه

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٧ .

(٢) سورة يونس:٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبيﷺ قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول اللهﷺ: « لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت: أن خذه ولا تخدش له لحما: ولا تكسر عظما فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه من البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه: ما هذا ؟ قال: فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب البحر، قال: فسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة قال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال: نعم قال: فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تبارك وتعالى :﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾..إلخ)[1].

وقال ابن كثير بعد إيراد الحديث: « رواه ابن جرير في تفسيره، والبزار في مسنده»، ثم قال: « لا نعلمه يُروى عن النبيﷺ إلا بهذا الإسناد».

قال مقيده: هكذا قال ابن كثير ولم يتعقبه بتصحيح ولا تضعيف. علما أن الخبر من طريق محمد بن إسحاق، وهو مدلس إذا عنعن. و في هذه الرواية لم يذكر من حدثه، بل أنكر اسمه، فاجتمعت عندنا علتان في السند: الأولى: عنعنة محمد بن إسحاق. الثانية: جهالة من حدثه عينا وحالا. فالأثر ضعيف. والله أعلم، وهو الفتاح العليم.

---

(١) تفسير الطبري ٩ / ٧٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الحج

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾(١).

قال الشيخ رحمه الله: (وهذه الآيات، فيها بيان أن للرسول ﷺ أسوة بإخوانه المرسلين، لما وقع منه عند قراءته ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فلما بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾(٢) ألقى الشيطان في قراءته: « تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن، لترتجى».

فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآيات)(٣).

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: أغلب المفسرين ذكروا ههنا قصة الغرانيق اعتمادا على ما جاء في بعض الروايات، منها ما رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، ورواه ابن جرير عنه أيضا، ورواه البزار عن ابن عباس، وذكره قتادة وغيرهم. ولكن لا يخلو كل ممن رووه من مقال، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة، فلم

(١) الآية: ٥٢.

(٢) سورة النجم: ١٩ – ٢٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن / ص ٤٩٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يجز به موسى بن عقبة ساقه من مغازيه بنحوه قال: وقد روينا عن أبي إسحاق هذه القصة.

قلت ـ القائل ابن كثير ـ: وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم».

وقال أيضا: « قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم»[1].

وقد ضعف الأثر، وأبطل القصة جمع من أهل العلم، منهم الإمام ابن خزيمة والبيهقي، والإمام ابن العربي في أحكام القرآن، والقاضي عياض قي كتابه « الشفا» والإمام الرازي في تفسيره، والقرطبي في أحكام القرآن، والكرماني، والعيني في عمدة الأحكام، والشوكاني في فتح القدير، والألوسي في روح المعاني، والشيخ محمد أمين الشنقيطي في أضواء البيان، وصَنَّف في ذلك العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني كتابا سماه: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

وهكذا، فإن الله تعالى حفظ كلامه، وصانه من أن يتلبس به الشيطان أو يُلبس على نبيه عند تلاوته، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤)﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٤].

قال ابن عباس: «هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم وذلك حين يقول: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربه».

قال ابن كثير بعدما ساق مجموعة من الأقوال في الآية: « ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم»[٥].

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٤.

(٣) سورة الحجر: ٩.

(٤) سورة الجن: ٢٦ – ٢٧.

(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٥٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولذلك قال سبحانه في آية أخرى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[١].

قال ابن كثير بعد كلام طويل: « ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي ولو انبغى لهم ما استطاعوا ذلك قال الله تعالى:﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ الله﴾[٢] ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك، لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة إنزال القرآن على رسول الله، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر.

وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾»[٣].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: وعلى هذا فيكون معنى الآية: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) أي: قرأ القرآن وتلاه غضا طريا كما أنزل﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ أي في قراءته، كما قال البخاري في صحيحه: « قال ابن عباس (في أمنيته) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه

(١) سورة الشعراء: ٢١٠-٢١٢.

(٢) سورة الحشر: ٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٦٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. ويقال أمنيته قراءته ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[١] يقرؤون ولا يكتبون»[٢].

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٣].

فما يلقي الشيطان في حديث النبيﷺ، إنما يفتتن به المنافقون والكفار، أما المؤمنون فإن الله يثبت قلوبهم على الإيمان.

وقد ورد في مثل هذا ما أخبرنا به النبيﷺ: « يأتي الشيطان الإنسان فيقول: من خلق السماوات ؟ فيقول الله، ثم يقول: من خلق الأرض ؟

فيقول: الله، حتى يقول: من خلق الله ؟

فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله» رواه أحمد في مسنده. قال شعيب الأرنؤوط: متن الحديث صحيح لكن تفرد به عبد الله بن لهيعة وهو سيء الحفظ.

قال مقيده: وأصله عند مسلم في صحيحه.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير.

---

(١) سورة البقرة: ٧٨.

(٢) صحيح البخاري ٤ / ١٧٦٦ .

(٣) سورة الحج: ٥٢ – ٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمثل هذا ما يلقيه الشيطان في نفوس المستمعين، فيثبت الله تعالى الذين آمنوا بقولهم: « لا إله إلا الله، آمنت بالله» ، ويذر المنافقين والكافرين في حيرة من أمرهم. فهذا الذي ذكرته، مثال ما يفتن به الشيطان عند حديث النبيﷺ، وليس تفسيرا للآية. والله أعلم بمراد كلامه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الشعراء

قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « أي: وأنت، إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، من حيث لا تدري»[٢].

قال مقيده ـ تجاوز الله عنه ـ: ليس معنى ﴿ الْكَافِرِينَ﴾ هنا، الكافرين بالله، ولا ما ذكره الشيخ، جملة وتفصيلا، بل سياق الآية في معرض امتنان فرعون على موسى عليه السلام، ليقول له في الختام: « ومع هذا كله، كفرت نعمتي عليك، وإحساني إليك، بأن قتلت رجلا من رجالي».

لذلك قال ابن كثير: « أي أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي الجاحدين.

---

(١) سورة الشعراء: ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٥٣٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير»[١].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال: للنعمة، إن فرعون لم يكن ليعلم ما الكفر ؟ وفي قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢].

قال: من الجاهلين»[٣].

وقال الإمام جلال الدين المحلي: « ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الجاحدين لنعمتي بالتربية وعدم الاستعباد».

فهذا المعنى هو الذي دل عليه سياق الآية، إذ أن الكفر يأتي بمعنى جحود الخالق سبحانه وتعالى، أو التكذيب بآياته، أو الإعراض عن حكمه، ... إلخ.

ويأتي بمعنى جحود النعمة، ولذلك غالبا ما يأتي في مقابل ذكر الشكر، لأن النعمة تستلزم من صاحبها أن يشكرها، بأن يستعين بها على طاعة الله، فإن لم يفعل، يكون قد كفرها، بمعنى: جحدها. كما قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤٣ .

(٢) سورة الشعراء: ٢٠.

(٣) فتح القدير ٤/ ١٣٩.

(٤) سورة البقرة:١٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]، والآيات في مثل هذا كثيرة.

ونظير هذا، قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فبإجماع المسلمين، أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، كما صح في الحديث: «إن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارى ضلال»[٢].

إلا أن اليهود نالوا أوفر الحظ من غضب الله، لأنهم علموا الحق ولم يعملوا به، وأما النصارى، فإنهم لم يعلموا الحق، ولكن عملوا عن جهل وظن، فضلوا عن الصراط المستقيم، وأضلوا.

فإذا ما جئنا إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[٣]، فإننا لا نقول:

«إن معنى هذا: ووجدك على ضلال النصارى، فهداك إلى الإسلام».

فهذا لم يقل به أحد من أهل التفسير. وإنما المعنى: «وجدك غير عالم بشرائع الدين».

---

(١) سورة إبراهيم:٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم.

(٣) سورة الضحى: ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[2].

فهذا معنى ﴿ضَالًّا﴾ في آية «الضحى». والله أعلم، وهو الفتاح العليم.

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) القصص: ٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة النمل

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله، بعد ذكره القول الأول الصحيح: «ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ، وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه.. وجئنا مسلمين له، خاضعين لسلطانه»[٢].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: القول الأول هو الصحيح، أي أن الضمير يعود إلى سليمان عليه السلام، هو القائل: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي من قبل ملكة سبأ. وهو قول المفسرين، كابن جرير وابن كثير رحمهما الله. أما الاحتمال الثاني الذي ذكره الشيخ رحمه الله، فهو في غاية البعد. ولو كان له احتمال لكانت الآية تقول: «وأوتينا من قبله»، بكسر القاف، وفتح الباء، وهاء الضمير مذكر ليعود على سليمان وهذا تكلف، ولم تثبت قراءة بهذه الرواية، لا صحيحة، ولا ضعيفة أو شاذة. وقد نُهينا عن التكلف. والله أعلم، وهو الفتاح العليم.

---

(١) سورة النمل: ٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٥٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة القصص

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١].

قال الشيخ: « .. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال..»[٢].

قال مقيده: «لا أدري لم حمل الشيخ رحمه الله، قول موسى عليه السلام، ودعاءه هذا على لسان حاله، لا على لسان قاله ؟ فلا داعي لصرف اللفظ عن ظاهره، بل نقول، إن قول موسى ودعاءه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ هو على ظاهره، أي نُطقا بلسانه. ولذلك ورد عن عطاء بن السائب في قوله ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال: بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة»[٣].

---

(١) سورة القصص: ٢٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٥٦٤.

(٣) تفسير الطبري ١٠ / ٥٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة العنكبوت

قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١).

قال الشيخ رحمه الله: «وجعل الله أيضا السفينة، أي: جنسها آية للعالمين..»(٢).

قال مقيده: ذهب بعض أهل التفسير لهذا القول، والشيخ رحمه الله أعاد الضمير ـ ضمير جعلناها ـ في هذه الآية إلى جنس السفينة. بينما نجده أعاد الضمير في الآية من سورة القمر إلى قصة نوح مع قومه. وأما الذي أرجحه في كلا الآيتين، هو أن الضمير يعود إلى السفينة نفسها، وهذا ما ذهب إليه قتادة. قال: «أبقاها الله بباقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا»(٣).

وهو أيضا قول إمام المفسرين ابن جرير الطبري، قال رحمه الله: «وجعلنا السفينة ـ التي أنجيناه وأصحابه فيها ـ عبرة وعظة للعالمين وحجة عليهم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».

---

(١) سورة العنكبوت: ١٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٥٧٨.

(٣) ذكره القرطبي والبغوي في تفسيرهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير: (وقوله ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الضمير للسفينة . ومعنى كونها آية، أنها دليل على وقوع الطوفان عذابا من الله للمكذبين الرسل، فكانت السفينة آية ماثلة في عصور جميع الأمم الذين جاءتهم الرسل بعد نوح موعظة للمكذبين وحجة للمؤمنين . وقد أبقى الله بقية السفينة إلى صدور الأمة الإسلامية، ففي صحيح البخاري: « قال قتادة: بقيت بقايا السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة» .

ويقال إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج . وكان الجودي قرب (باقردى) وهي قرية من جزيرة ابن عمر بالموصل شرقي دجلة « وباقردى بموحدة بعدها ألف ثم قاف مكسورة ويجوز فتحها ودال فألف مقصورة» وقال تعالى في سورة القمر ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾) ا.هـ

وسأذكر بإذن الله المزيد، عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

(١) سورة القمر: ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الروم

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « فالقنوط بعدما علم أن الخير والشر من الله..»[٢].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ:

لا يقال عن الشر أنه من الله، علما أنه يقع بإذنه، وهذه مسألة نبه إليها الشيخ رحمه الله في « الكهف»، لكنه هنا زل به القلم.

وممن وضح هذه المسألة: الخير والشر، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «و قد بسط الكلام على حقائق هذه الأمور و بين أن الله لم يخلق شيئا إلا لحكمة قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٣].

و قال: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤] فالمخلوق باعتبار الحكمة التي خلق لأجلها خير وحكمة، وإن كان فيه شر من جهة أخرى فذلك

---

(١) سورة الروم: ٣٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٥٩١.

(٣) سورة السجدة: ٧.

(٤) سورة النمل: ٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمر عارض جزئي، ليس شرا محضا، بل الشر الذي يقصد به الخير الأرجح هو خير من الفاعل الحكيم وإن كان شرا لمن قام به»[١].

وأما تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ فإنه قال: « فإنه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك. بل قد يكون ذلك المخلوق شرا ومفسدة ببعض الاعتبارات، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أخر أرجح من اعتبارات مفاسده. بل الواقع منحصر في ذلك، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه بكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه ما. هذا من أبين المحال فإنه سبحانه بيده الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة، والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شرا فتأمله. فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شرا»[٢].

والله أعلم.

ويشهد لهذا ما جاء في بعض أدعية الاستفتاح في الصلاة، ففي الصحيح، أن النبي ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: « وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٥١٢.

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٢٠٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

قال النووي رحمه الله: ([والشر ليس إليك]: قال الخطابي وغيره فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله تعالى ومدحه، بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها على جهة الأدب، وأما قوله: « والشر ليس إليك»، فمما يجب تأويله. لأن مذهب أهل الحق، أن كل المحدثات فعل الله تعالى وخلقه ـ سواء خيرها وشرها ـ وحينئذ يجب تأويله وفيه خمسة أقوال:

أحدها: معناه لا يتقرب به إليك. قاله الخليل بن أحمد والنضر بن شميل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن خزيمة والأزهري وغيرهم.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني وقاله غيره أيضا، معناه: لا يضاف إليك على إنفراده. لا يقال: يا خالق القردة والخنازير. ويا رب الشر. ونحو هذا، وان كان خالق كل شيء ورب كل شيء. وحينئذ يدخل الشر في العموم.

والثالث: معناه، والشر لا يصعد إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح.

والرابع: معناه، والشر ليس شرا بالنسبة إليك، فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والخامس: حكاه الخطابي، أنه كقولك: فلان إلى بني فلان. إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليهم)[١].

ومع هذا فهناك من السلف من استعمل هذا اللفظ: « الخير والشر من الله»، ولكن لا يعنون به ما فهمه أهل البدع، كما قال ابن الوزير رحمه الله: « .. وربما يوجد في كلام بعض السلف أن الخير والشر من الله، يعنون به الصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك، فجاء من بدل ذلك من الجهلة بالطاعات والمعاصي، كما يدل ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ بأنه مريد للشرك، وبدَّل مريدا براض محب، وبدلت الاتحادية راض محب، بآمر مثيب كما تقدم. وكم وقع من الضلال العظيم من تبديل العبارات وظن تماثلها»[٢].ا.هـ

(١) شرح النووي على مسلم ٦ / ٥٩.

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير .[ج١ / ٢٩٨] .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة لقمان

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: «فهو الذي أنشأنا فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى ؟»[٢].

قال مقيده ـ عامله الله بلطفه ـ: لا ينحصر علم الله تعالى في الأرحام بكونه يعلم: هل هو ذكر أم أنثى ؟ بل علمه أوسع من ذلك وأعم، وإلا فإن الطب الحديث توصل إلى معرفة جنس ما في رحم الحامل قبل الولادة، أذكر هو أم أنثى؟.

فإن قال قائل: لكن الله تعالى يعلم أذكر هو أم أنثى في أول أيام التلقيح. قلنا له: ومن يدريك، لعل التقدم التقني في الطب يتوصل ـ بإذن الله ـ إلى معرفة ذلك في المراحل الأولى للجنين ؟

فإن قلت: فما معنى الآية إذا ؟ أجبناك: معناها ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى يعلم حين يقع التلقيح وقبله، أذكرا أم أنثى ؟ أيولد أم يسقط ؟ ويعلم رزقه، وأجله، وشقيا أو سعيدا. فهذا هو علم الله تعالى الذي لا حد له. كما ثبت في الحديث الصحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال حدثنا

(١) سورة لقمان: ٢٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٦٠١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح. فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار . ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وبمثل هذا قال ابن كثير في تفسير الآية: « أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره». والله أعلم وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الأحزاب

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد: إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية»[٢].

قال مقيده: قيل إن الآية نزلت في رجل من قريش، كان يقال له: ذو اليدين. واختار ابن جرير هذا القول. وروى الإمام أحمد رواية عن ابن عباس قال فيها: « قام رسول الله ﷺ يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين: قلبا معكم وقلبا معهم. فأنزل الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال: وهذا حديث حسن وكذا رواه ابن جرير وابن حاتم من حديث زهير به». وجاءت رواية عن الزهري قال: «بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل: يقول ليس ابن رجل آخر ابنك. وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد أنها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه.

---

(١) سورة الأحزاب: ٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٦٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم»[1].

قال مقيده: إن صح أحد الأثرين الأولين، فهو فصل النزاع، وقد رأينا أن ابن جرير اختار رواية العوفي عن ابن عباس، والإمام أحمد ذكر رواية أخرى عن ابن عباس جعل قول المنافقين عن النبيﷺ أن له قلبين سبب نزول الآية، وقد صحح الشيخ أحمد شاكر سند رواية الإمام أحمد. والحديث حسنه الترمذي أيضا، ولم يعلق عليه ابن كثير.

ومهما كان سبب النزول، وصحة الأثرين أو ضعفهما، فالظاهر أن الآية ضُربت مثلا، توطئة لتحريم التبني، ولذلك قال ابن كثير: (يقول تعالى موطئا قبل المقصود المعنوي أمرا معروفا حسيا، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها، بقوله: « أنت علي كظهر أمي»، أُماًّ له، كذلك لا يصير الداعي ولدا للرجل إذا تبناه، فدعاه ابنا له). ا.هـ.

فهذا ما اطمأن له القلب، والله أعلم.

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٦١٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة سبأ

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ..﴾[1].

ذهب الشيخ رحمه الله، إلى أن الضمير في: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ يرجع إلى المشركين، وأيده بما ظهر له، رغم ذكره الاحتمال الثاني الذي يعود الضمير فيه إلى الملائكة[2].

قال مقيده: الراجح في الآية ـ والله أعلم ـ أن الضمير فيها يعود إلى الملائكة، وهو قول ابن مسعود وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، وتبعهم في ذلك مسروق وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي والنخعي والضحاك ورواية عن الحسن.

واختاره ابن جرير الطبري، ورجحه ابن كثير في تفسيره، وابن حجر العسقلاني في الفتح [٥٥٨ / ١٣]، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «التوحيد».

والله أعلم بالصواب.

---

(١) سورة سبأ: ٢٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٦٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة فاطر

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(١).

قال الشيخ رحمه الله: « أي: أموات القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا ..»(٢).

قال مقيده ـ غفر الله له ـ:

أما معنى: « من في القبور» هم أموات القلوب، أي: الكفار. فهذا صحيح، كما قال ابن كثير: « أي كما لا ينفع الأموات ـ بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار ـ بالهداية والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون..». ا.هـ.

ولذلك يصف سبحانه الكفار بالأموات في غير ما آية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر: ٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٦٣٤.

(٣) سورة الأنعام: ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾(١).

وأما كون دعاء النبيﷺ لا يفيد سكان القبور، فهذه زلة قلم من الشيخ، إذ كيف يقال هذا، وهناك عدة أحاديث تدل على انتفاع الميت المؤمن بدعاء الأحياء عموما، فكيف بدعاء النبيﷺ. وقد ورد في الحديث الصحيح: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: « كان رسول اللهﷺ، كلما كان ليلتها من رسول اللهﷺ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». رواه مسلم في صحيحه. والآثار الصحيحة في هذا الباب كثيرة.

لكن، قد يكون الشيخ أراد بقوله: « كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا». أراد بالدعاء ـ هنا ـ الدعوة إلى الله تعالى.

وكيفما كان الأمر، ففضل دعاء النبيﷺ في حياته للأموات المسلمين، لا يخفى على أحد من المسلمين. والله أعلم.

---

(١) سورة الروم: ٥٢.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأصله في صحيح مسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة يس

قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « وهذا الموضع من أشكل المواضع الذي استشكل علي في التفسير ..».

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: الذي استشكل على الشيخ رحمه الله،هو ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإن جمهور المفسرين فسروها بـ: « آبائهم» أي أصولهم، وهذا غير معهود، لأن الذرية فرع عن الأصل. وهذا صحيح، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾.

أي: يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة فتشبهوا بأبيكم «. قاله ابن كثير في التفسير.

وقال محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبه قال: «سمعت أبان بن عثمان يقول في هذه الآية ﴿ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾[٢] الذرية الأصل والذرية النسل»[٣].

---

(١) سورة يس: ٤١.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٢٣٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن هذا لا يمنع أن تتضمن الذرية في الآية: الآباء والأولاد والأحفاد، الذين كانوا في أصلاب الناجين في سفينة نوح، فلما امتن سبحانه على حمل الذرية، وهم بعدُ في أصلاب الآباء، ليكون القصد هم أنفسهم - أي ذرية نوح عليه السلام - وهم الذين يُمثلون البشر على الأرض، كما قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾[1].

فتكون هذه العبارة أكثر تهييجا وتنبيها لعبادة الله تعالى وشكره على أن جعلهم من سلالة المؤمنين الناجين مع نوح عليه السلام، بخلاف لو أنه سبحانه قال: « وآية لهم أنا حملنا آباءهم في الفلك المشحون» لانصرف الامتنان إلى الآباء دون الذرية، والله سبحانه يريد من الذرية أن تتذكر هذه النعمة فتعبده وتشكره.

ولذلك قال سبحانه: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2] فصار الامتنان مباشرة إلى من جاء بعد نوح من أصلاب الناجين معه، ولذلك لم يتغير أسلوب الامتنان في الآيات بعدها، بل قال سبحانه: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ..﴾[3] فالخطاب للذرية، وليس لمن نجاهم مع نوح، بدليل قوله: ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾.

---

(١) سورة الصافات: ٧٧.

(٢) سورة يس: ٤١.

(٣) سورة يس: ٤٢ - ٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا، قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾[١]، فجاء الخطاب هنا مباشرة للمستمعين: ﴿ حَمَلْنَاكُمْ﴾ أنتم .. وأنتم بعدُ ذرات في أصلاب من نجيناهم مع نوح. ففي « يس» جاء التعبير ﴿ حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي ذرية الآباء، وهم أنتم، وهو التعبير الذي جاءت به « الحاقة»، فالذي يفسر لنا آية « يس» هو الآية في « الحاقة»، أما أن يقال: هذا التفسير أو المعنى للذرية غير معهود عند العرب، فقول مردود، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾[٢].

فقد فسر ابن عباس الذرية بالقليل، وكذلك قتادة والضحاك، فهل معهود عند العرب أن تطلق « الذرية» على « القلة» ؟

الجواب: إن علوم اللغة العربية بحر، والقرآن نزل بلسان عربي، فلغة العرب تابعة لما نزل به القرآن، ولا عكس، ثم كثيرا ما يغير سياق الآية معنى الكلمة إذا ما وضعت في سياق آخر، أو بمفردها.

مثال ذلك: « الفاحشة»، أو الفحشاء والفُحش. يقول ابن قيم الجوزية: « وأما الفحشاء والمنكر، فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة. وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء، وهي ما

(١) سورة الحاقة: ١١.

(٢) سورة يونس: ٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ظهر قبحها لكل أحد واستفحشه كل ذي عقل سليم. ولهذا فُسرت بالزنا واللواط وسماها الله فاحشة لتناهي قبحها، وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا، وهو ما ظهر قبحه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه»[١].

قال مقيده: أما تفسير « الفاحشة أو الفحشاء» بالزنا أو اللواط، فكقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢].

وكقوله تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٣].

وأما تفسيرها بما ظهر قبحه من السب والشتم، فكقولهﷺ: « ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي»[٤].

وكقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (لم يكن رسولﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا»[٥].

---

(١) مدارج السالكين [١ / ٣٧١].

(٢) سورة يوسف: ٢٤.

(٣) سورة النمل: ٥٤.

(٤) رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

(٥) متفق عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بقي تفسير آخر للفحشاء، وهو: البخل. وذلك عند قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله في معنى الآية: « فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم.

وهذا هو الداعي الغالب على الخلق فإنه يهم بالصدقة والبذل، فيجد في قلبه داعيا يقول له متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه، وافتقرت إليه بعد إخراجه. وإمساكه خير لك حتى لا تبقى مثل الفقير، فغناك خير لك من غناه.

فإذا صور له هذه الصورة، أمره بالفحشاء، وهي: البخل الذي هو من أقبح الفواحش. وهذا إجماع من المفسرين أن الفحشاء هنا البخل»[٢].

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف تغير معنى « الفحشاء» بحسب تركيبها في الآيات، فالعرب تسمي البَخيلَ ـ أيضا ـ فاحشاً، كما قال طرفة:

أَرى المَوْتَ يَعتامُ الكِرامَ ويَصْطَفي
عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

يعني الذي جاوز الحدّ في البخل.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) طريق الهجرتين ١/ ٥٥٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد رجعت إلى بعض كتب التفسير، فوجدت هذا القول الذي ذهبت إليه، قد ذكره البيضاوي في تفسيره، إذ قال: « وقيل: المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام وحمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم، و تخصيص الذرية لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الإيجاز» ا.هـ.

والله أعلم بالصواب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الصافات

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه».

قال مقيده: حذف المعمول دل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الصافات: ٥٠.

(٢) سورة الصافات: ٥١ - ٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتساؤل أهل الجنة ـ إذن ـ كان عما مر بهم في الدنيا مع الكفار، الذين لا يصدقون بالبعث. فلما تذكر أحدهم صاحبا له، كان يجادله في البعث، أخذ يذكر قصته لأصحاب الجنة، إلى أن أطلعه الله تعالى عليه فرآه في سواء الجحيم .. إلخ.

فلا دخل ههنا للذة العلم، والمسائل المختلف فيها، بل هذا التساؤل في مقابل تساؤل الكفار الذين سبق ذكرهم، عند قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي يتلاومون ويخاصمون، التابع والمتبوع، كل فريق يلقي باللوم على صاحبه: ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)﴾[1].

فلما كان تساؤل الكفار، تلاوما بينهم وتخاصما وتلاعنا، ثنى الله تعالى بتساؤل المؤمنين عن مصير الكافرين، المكذبين بيوم الدين، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)﴾[2].

(١) سورة الصافات: ٢٨ - ٣٣.

(٢) سورة المدثر: ٣٩ - ٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والملاحظ أن نفس الوصف ذكر به الكفار في «الصافات» وفي «المدثر».

ففي «الصافات» قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ وفي «المدثر» قال تعالى: ﴿..عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)﴾.

وأما كونهم يتساءلون في العلم، والبحث عنه، فقول غريب، لم يقل به أحد من أهل التفسير من السلف والخلف فيما اطلعت عليه، وهيهات هيهات، فقد مضى زمن البحث عن الأدلة، والراجح من المرجوح، في الحياة الدنيا، أما في الجنة، فالدار دار جزاء وثواب. والله أعلم وهو يهدي السبيل.

قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[1].

قال الشيخ رحمه الله: « وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه إلى عبادة صنم، لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم،..»[2].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: عفا الله عن الشيخ، ما كان ليجعل كون الصنم لا يأكل قدحا لأن يُتَّخذ إلها يُعبد، بل بالعكس.

فإن عدم الأكل صفة من صفات كمال الرب سبحانه وتعالى، ولذلك لما أراد سبحانه أن يمتن على عباده بكمال صفاته، قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ

(١) سورة الصافات: ١٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٦٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[١].

كما أنه سبحانه لما أراد أن ينفي عن عيسى وأمه عليهما السلام، الألوهية، وصفهما بأنهما يحتاجان للطعام، فقال جل وعلا: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٢].

وكذلك لما أراد الكفار أن ينكروا رسالة النبي ﷺ، احتجوا بكونه يأكل، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[٣].

ثم رد الحق سبحانه وتعالى عليهم تعنتهم، واحتجاجهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[٤].

كما قال جل وعلا في سياق آخر: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنعام: ١٤.

(٢) سورة المائدة: ٧٥.

(٣) سورة الفرقان: ٧.

(٤) سورة الفرقان: ٢٠.

(٥) سورة الأنبياء: ٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد علم المشركون أن من يحتاج إلى الطعام هو مثلهم، يعتريه ما يعتريهم من نقص وضعف، بخلاف من لا يحتاج إليه.

وقد أصابوا من جهة، وضلوا من جهة أخرى. أصابوا في كون من أرسل إليهم بشر، يأكل ويشرب، ويتزوج ويمرض، ويموت. وضلوا في اقتراحهم لعنادهم وجهلهم وكفرهم.

ولذلك فسر عكرمة قوله تعالى: ﴿الصَّمَدُ﴾ أي: الذي لم يخرج منه شيء، ولا يطعم. وفسره الشعبي بقوله: هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب[1].

وأما عبادة المشركين للأصنام، فإنهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، وأنها لا ترزق، ولا تخلق .. وإنما يعتقدون شفاعتها.

ولذلك كان جواب عُباد الأصنام في مكة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[2] أي: قربى.

وأخبر سبحانه أنهم يؤمنون بالله خالقا مجيرا عظيما، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

(١) انظر تفسير ابن كثير .

(٢) سورة الزمر: ٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[1].

ولكن أهواءهم، وتقليدهم لآبائهم، حال بينهم وبين الانقياد لخالقهم وبارئهم جل وعلا.

وأما قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب الأصنام: (ألا تأكلون) فإنما هو على سبيل الاستهزاء والسخرية، كما ذكره جمهور المفسرين، والله أعلم وهو يهدي السبيل.

(١) سورة المؤمنون: ٨٤ إلى ٨٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة « ص»

قوله تعالى على لسان أحد الخصمين: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « أي: زوجة ..».

قال مقيده: هذه القصة لم يرد فيها نص صحيح يُعتمد عليه، اللهم ما كان من الإسرائيليات، ولذلك الأولى عدم الخوض فيها، كما قال ابن كثير عنها: «قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. ولكن روى ابن أبي حاتم حديثا لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه. ويزيد ـ وإن كان من الصالحين ـ لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[٢].

---

(١) سورة ص الآية ٢٣.

(٢) سورة ص الآية ٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الشيخ رحمه الله: « أي: شيطانا، قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان».

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: هكذا قال ابن عباس فيما يروى عنه، وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة، إلا أن النفس لا تطمئن لهذا القول، تماما كقصة داود عليه السلام مع الخصمين.

والغريب أن الإمام ابن كثير تعرض لتفسير هذه الآية وذكر ما روي فيها، ولم يعرض عنها كما فعل في قصة داود عليه السلام، إلا أنه بعد سرد أقوال السلف في معنى الآية ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قال في الختام: « وقد رويت هذه القصة مطولة عن مجموعة من السلف رضي الله عنهم، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب»[1].

قال مقيده: فهذا القول الأخير منه ـ رحمه الله ـ هو المعول عليه. وأما الشيخ السعدي رحمه الله، فقد درج على هذا النمط في أغلب تفسيره، أي: أنه يضرب صفحا عن الإسرائيليات، ولكن مع ذلك وقع فيما أنكره، كما هو ملاحظ في تفسيره لهذه الآية والتي قبلها.

قال الشيخ: من فوائد السورة: « وأنه قد يجري منهم ـ أي الأنبياء ـ بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٦٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال مقيده: المسألة فيها تفصيل، إذ من المعلوم أن الله تعالى قد عصم أنبياءه وحفظهم من تعمد ارتكاب الذنوب، سواء كانت كبيرة أو صغيرة على الصحيح . وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾، فلا يعني أنه ارتكب معصية، وإنما اعتبر عليه السلام أن ما اختبره به ربه معصية في حقه، لأنه نبي. ولذلك قال ابن كثير في تفسير معناها: «أي ما كان منه مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين». فلم ينعته بأنه أذنب عليه السلام.

فهكذا هو حال الأنبياء والرسل عليهم السلام، حتى آدم عليه السلام، فإن أكله من الشجرة لم يكن معصية، بمعنى لم يتعمد الإثم لمخالفة ربه تعالى، وإنما نسي، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]. وكذلك قول إبراهيم عليه السلام حين يستشفع به الناس يوم القيامة: « إني كنت كذبت ثلاث كذبات».

وقول موسى عليه السلام: « إني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها»[2].

فهذا الذي اعتذر به آدم ونوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، لم يكن معاصي، بمعنى الجحود أو تعمد المعصية، وإنما اعتبروها نقصا في مقابل مقامهم.

---

(١) سورة طه: ١١٥.

(٢) متفق عليه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسبب قول الشيخ: « إنه قد يجري على الأنبياء بعض المعاصي»، هو ـ والله أعلم ـ اعتماده على ما ورد من الإسرائيليات في قصة داود عليه السلام.

وبعد مراجعتي لكلام أهل العلم، وجدت شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: «فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي، أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء..»(١).

وذهب صاحب مغني المحتاج إلى أنهم ـ أي الأنبياء ـ « معصومون بعدها ـ أي بعد النبوة ـ من الكبائر ومن كل ما يزرى بالمروءة، وكذا من الصغائر ولو سهوا، عند المحققين، لكرامتهم على الله تعالى أن يصدر عنهم شيء منها. وتأولوا الظواهر الواردة فيها. وجوز الأكثرون صدورها عنهم سهوا إلا الدالة على الخسة كسرقة لقمة»(٢).

وقال أبو عبد الله القرطبي ـ صاحب التفسير ـ ﷺ: « واختلف العلماء في هذا الباب هل وقع من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا ـ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعا عند القاضي أبي بكر وعند الأستاذ أبي إسحاق، أن ذلك مقتضى دليل المعجزة.

---

(١) [مجموع الفتاوى ٤ / ٣١٩].

(٢) ا.هـ [٤ / ٢٠٨].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم ـ فقال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين: تقع الصغائر منهم خلافا للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفاء فيه، وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك و أبي حنيفة و الشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها، لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة، أو الحظر أو المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا، من الأصوليين.

قال الأستاذ أبو إسحاق الأسفرايني: « واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، وصار بعضهم الأول إلى تجويزها، ولا أصل لهذه المقالة، وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول: الذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة، لا يقبل التأويل جملتها، وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلو أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة».

قال: « وهذا هو الحق ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم ـ صلوات الله عليهم ـ وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه». انتهى[1].

ومن هنا يتبين لنا أن القول الراجح هو عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، وأن من جوز عنهم الصغائر، إنما أراد بها ما يصدر عنهم سهوا، كقولهﷺ: « إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» رواه مسلم. والغين هو الغيم الرقيق، والمراد هنا ما يتغشى القلب، قال القاضي: «قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبا واستغفر منه»[2].

أو ما يصدر عنهم تركا للأولى، كما جاء في تفسير أبي السعود رحمه الله: «﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ تداركا لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحايين»[3]، وكما قال تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ﴾ الآية.

---

(١) انظر تفسير القرطبي [١/ ٣٣٩].

(٢) [انظر شرح النووي والسيوطي على مسلم].

(٣) تفسير أبي السعود [٧/ ٢٨١].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في فتح القدير: « الاستفهام في ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ للإنكار من الله تعالى على رسوله ﷺ، حيث وقع منه الإذن لمن استأذنه في القعود قبل أن يتبين من هو صادق منهم في عذره الذي أبداه، ومن هو كاذب فيه، وفي ذكر العفو عنه ﷺ ما يدل على أن هذا الإذن الصادر منه كان خلاف الأولى وفي هذا عتاب لطيف من الله سبحانه».

وأيضا قول آدم عليه السلام: « وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري»، وقول إبراهيم عليه السلام: « إني قد كنت كذبت ثلاث كذبات»، وقول موسى عليه السلام: « إني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها»، فآدم عليه السلام نسي وغره الشيطان فأكل من الشجرة، وإبراهيم عليه السلام استعمل التورية وأراد إقامة الحجة على قومه، فاعتبر فعله ذنبا، وموسى عليه السلام اعتبر قتله ذنبا، علما أن الوكز ـ وهو الضرب بجمع الكف ـ غالبا ليس أداة للقتل، ولا يعتد في قتل العمد، ولكنه عليه السلام، لمقامه من النبوة، اعتبره نقصا في حقه.

والله تعالى أعلم، ونسبة العلم إليه أسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الزمر

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾(١).

قال الشيخ رحمه الله: « .. وفي ذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة .. ويتمكنون أيضا من رؤيته ..».

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ:

كذلك قال ابن كثير في تفسيره: « أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء».

وعندي أنه لا يتمكن الخلق كلهم من النظر إليه سبحانه، بل بينه وبين أعدائه حجاب، إذ النظر إليه سبحانه لذة ونعيم، فأنى للكفار أن يتنعموا به، وقد قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾(٢).

قال ابن كثير: «أي لهم يوم القيامة منزل ، ونزل سجين، ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم».

كما، وأن الله تعالى سيتعرف لعباده المخلصين في عرصات يوم القيامة بالساق.

---

(١) سورة الزمر: ٦٩.

(٢) سورة المطففين: ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ففي الحديث الطويل عن أبي سعيد الخدري قال: « سمعت النبي ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا»(١).

وفي رواية، أن الله تعالى حين يقضي بين الناس في مظالمهم، ويفرغ من ذلك ينادي مناد، يُسمع الخلائق كلهم: « ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار وهو الذي يقول: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢) فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره. فينصرف عنهم ـ وهو الله الذي يأتيهم ـ فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم.

فيقول: « يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون.

فيقولون: والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره ، فيكشف لهم عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته، ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سجدا على وجوههم، ويخر كل منافق على قفاه ويجعل الله أصلابهم كصياصي البقر...إلخ» الحديث[١].

فإن كان قصد الشيخ رحمه الله، هذه الرؤية التي ستكون في عرصات القيامة قبل دخول الجنة، والتي ستحصل للمؤمنين والمنافقين دون غيرهم، فهذا صحيح، ومع ذلك فالحديث فيه إشارة إلى رؤية «ساقه» و «من عظمته» دون الوجه، وليس لعامة الخلائق، كما يُفهم مما جاء في التفسير.

وعند مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا ؟

ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم». الحديث.

فلو حظي الكفار والمنافقون بالنظر إلى الله تعالى، إنهم ـ إذا ـ لفي نعيم.

وحسبنا أن نصوص القرآن والأحاديث الصحيحة، أثبتت لنا تنعم ونضارة من يرى ربه يوم القيامة، فلذلك نفيناها عن الكفار، لأنه لا ينتظرهم إلا العذاب والخزي، بدءا بسكرات الموت إلى عذاب القبر في عالم البرزخ، إلى أهوال عرصات القيامة، إلى أن يدخلوا النار خاسئين داخرين، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) هذا لفظ الطبراني وأصله في الصحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك هناك من فسر الآية بالحديث المرفوع عن النبي ﷺ من طرق كثيرة صحاح، فيه النظر إلى الله جل وعلا، كقوله ﷺ: « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» . ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾» متفق عليه .

فدل الحديث بمنطوقه ومفهومه أن النظر إلى رب العزة، هو للمؤمنين المحافظين على صلواتهم.

وهناك من فسر النور في الآية بالعدل، كما في تفسير النسفي والألوسي رحمهما الله، والله أعلم وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة القمر

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: «أي لقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون»[٢].

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: جعل رحمه الله ضمير «تركناها» يعود على قصة نوح مع قومه، أما ابن كثير رحمه الله، فجعل الضمير يعود على جنس السفن، وقال: «إنه الظاهر من ذلك»، وأما قتادة فذهب إلى أنها سفينة نوح نفسها، والظاهر في سياق هذه الآية يرجح قول قتادة، إذ الضمير يعود إلى ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ وهي سفينة نوح عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[٣].

وبعدها مباشرة، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ثم الذي يقوي هذا القول ما أثبتته الحفريات، والعلوم الجيولوجية، حيث عثر على بقايا السفينة على جبال الموصل بالعراق.

---

(١) سورة القمر: ١٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص:٧٦٦.

(٣) سورة القمر: ١٣ - ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما أن جنسها آية للناس، فهذا لا يُختلف فيه، كما قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾(١).

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٢).

فالمؤمن يتذكر سفينة نوح عليه السلام، إذا رأى السفن تمخر البحار، فيحمد الله على أن جعله مؤمنا من ذرية نوح، وهذا حال المؤمن، لا يقلب بصره في شيء إلا واعتبر منه، وتذكر به ربه.

وأوضح من هذا، قول قتادة عند قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾(٣) قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة، عبرة وآية، حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت فهلكت وصارت رمادا»(٤).

وقد تقدم ذكره.

---

(١) سورة يس: ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة الحاقة: ١١ - ١٢.

(٣) سورة هود: ٤٤.

(٤) نقلا عن تفسير ابن كثير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما قوله تعالى حكاية عن قول الكفار: ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾[1].

قال الشيخ رحمه الله: « أي كثير الكذب والشر ».

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: عجبا أن يكون هذا الفهم من الشيخ رحمه الله، إذ لو كان معنى الآية على ما ذهب إليه، لكانت الآية: « بل هو كذاب شرير ». أو « أَشَرّ » بفتح الشين وتشديد الراء، على قراءة أبي جعفر وأبي قلابة.

لكن الصواب في معنى الآية: أي بل هو متجاوز في حد الكذب، أشر ـ بكسر الشين ـ: أي متكبر بطر. كما هو معلوم ومشهور في اللغة. فإن المتكبر يحب أن يمدح ويثنى عليه، ويشار إليه بالبنان، أنه كذا وكذا، فقيل عنه ـ عليه السلام ـ زورا وبهتانا: ﴿ أَشِرٌ ﴾.

قال الطبري في تفسيره: « يعنون بالأشر: المرح، ذا التجبر والكبرياء. والمرح من النشاط ».

وقال القرطبي في تفسيره: « والأشر المرح، والتجبر والنشاط، يقال: فرس أشر. إذا كان مرحا نشيطا.

وقيل: أشر: بطر. والأشر: البطر ».

وقال البيضاوي في تفسيره: « كذاب أشر: حمله بطره على الترفع علينا بادعائه إياه ».

---

(١) سورة القمر: ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الواحدي في الوجيز في تفسير القرآن: « بطر يريد أن يتعاظم علينا».

وقال الشوكاني في تفسيره [فتح القدير] في معنى أشر: « وتفسيره بالبطر والتكبر أنسب بالمقام، ومنه قول الشاعر:

أشرتم بلبس الخز لما لبستم ومن قبل ما تدرون من فتح القرى»

والله أعلم وهو الفتاح العليم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة المدثر

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه المواعظ»[٢].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: لو كان الضمير يعود على السورة، أو على المواعظ لقال: « كلا إنها تذكرة»، وإنما الضمير يعود على القرآن كله، وذلك ردا عليهم في زعمهم قولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٣] فجاء ههنا الرد، والزجر بقوله: ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كذلك بل ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن تذكرة، يشتمل على ما فيه ذكر للعباد، ونفع لهم في المعاش، والمعاد. كقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ وبه قال الطبري وابن كثير والألوسي والنسفي والقرطبي والشوكاني وغيرهم رحمهم الله جميعا.

وهذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ نظير قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ قال ابن كثير في تفسيره: « أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون ويتعظون». والله أعلم وهو الفتاح العليم.

---

(١) سورة المدثر: ٤٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٨٣١.

(٣) سورة المدثر: ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة المرسلات

قوله تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣)﴾[١].

ذهب الشيخ رحمه الله إلى أن المرسلات عرفا، هي الملائكة، ثم ذكر احتمالين في: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣)﴾ إما أنها الملائكة أو الرياح[٢].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: الحق، أن هذه المقسمات اختلف فيها أهل التفسير، وهناك من توقف فيها، كالإمام ابن جرير رحمه الله. وأما الإمام ابن كثير رحمه الله، فرجح أن تكون المقسمات الثلاث كلها في معنى الرياح، فقال: «والأظهر أن المرسلات هي الرياح، وهكذا العاصفات هي الرياح، وكذا الناشرات هي الرياح، التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل». ا.هـ

وعندي، أن القسمين الأولين غير الأقسام الثلاثة، بدليل أن القسم الثاني معطوف على الأول بحرف الفاء، ليدل على أنه من جنس واحد، ثم أتى بقسم جديد مستقل عن الأول والثاني ليدل على أنه جنس آخر، فيكون المعنى ـ والله أعلم ـ أن المرسلات هي الرياح التي تأتي بخير، كما في

(١) سورة المرسلات: ٢ - ٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٨٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة». متفق عليه.

وكما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[1]، وأن العاصفات هي الرياح، لكنها تعصف، أي: تهب بتصويت، فلذلك عطف سبحانه هذا القسم على الأول بالفاء، ثم انتقل إلى مقسم به من جنس آخر، فقال: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ الآيات.

ومعناها: الملائكة تنشر السحاب في السماء، وتسوقه بإذن ربها إلى حيث يشاء، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾[2].

وهناك من فسرها بالملائكة، إلا أنه جعلها بمعنى تنشر أجنحتها في الجو عند النزول بالوحي، وأما ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[3] فلا خلاف في أنها الملائكة.

---

(١) سورة الحجر: ٢٢.

(٢) سورة السجدة: ٢٧.

(٣) سورة المرسلات: ٤ - ٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي جعلني أرجح هذا التفسير هو مناسبة كل مقسم به والذي يليه، فأما المرسلات والعاصفات، فالجامع بينهما: الرياح، ولذلك عطف الثاني على الأول بالفاء، وأما الناشرات والفارقات والملقيات، فالجامع بينها: إحياء الموتى، فالماء النازل من السماء لإحياء الأرض الميتة، كما أن الوحي النازل من عند الله لإحياء موتى القلوب، ولذلك سمى الله تعالى الوحي روحا، لأنه حياة القلوب. كما أن المعرض عن الوحي ميت القلب. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[1].

وقال عن الكفار: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]، قال قتادة: «﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ حي القلب، حي البصيرة».

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾[4].

---

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) سورة يس: ٦٩ - ٧٠.

(٣) سورة الشورى: ٢٨.

(٤) سورة غافر: ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالوحي حياة للقلوب، والغيث حياة للأرض.

وكثيرا ما يجمع الله تعالى بين القرآن الذي به يحيى القلب، وبين الغيث الذي به تحيى الأرض، ويقرب بذلك للأذهان، أنه قادر سبحانه على بعث الموتى، كما في سورة « ق» و « الحديد» و « الزمر» و « البقرة» و « الفرقان» و « غافر» و « النحل» وغيرها.

هذا ما اطمأن إليه قلبي ، والله أعلم ونسبة العلم إليه أنسب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سورة الأعلى

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[١].

قال الشيخ رحمه الله: « ومفهوم الآية، أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن مأمورا بها، بل منهي عنها»[٢].

قال مقيده ـ فتح الله عليه ـ: لم يذكر الشيخ رحمه الله حالة أخرى، وهي إن غلب على ظن الواعظ أو المذكر أن موعظته لن يترتب عليها شر، ولن تنقص من الخير، فإن موعظته حينئذ تكون حجة على المعرض، كما أخبر الله تعالى عن الذين أنكروا على المعتدين في السبت، أنهم قالوا لمن قال لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣]، أي: موعظتنا إياهم معذرة. والمعنى: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، فعلينا موعظة هؤلاء عذرا إلى الله، ولذلك لم يعتبر الإمام جلال الدين المحلي في الآية: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ مفهوما، بل قال: « يعني: وإن لن تنفع». وهو الصواب إن شاء الله.

---

(١) سورة الأعلى: ٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن / ص: ٨٥١ ـ ٨٥٢.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن هنا كانت مراتب الإنكار على أربع درجات، كما قال ابن القيم رحمه الله: « فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه. فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة»(١).

قال مقيده ـ غفر الله له ـ: مثال الدرجة الثالثة ـ وهي الحالة التي لم يذكرها الشيخ رحمه الله ـ: كأن يغلب على الظن أن سامع الموعظة لا يبالي، ولا يأبه بالواعظ، فقد حكى القاضي أبو يعلى روايتين عن أحمد في وجوب إنكار المنكر في هذه الحالة، وصحح القول بوجوبه، وهو قول أكثر العلماء، ودليلهم في ذلك، آية الأعراف السالف ذكرها، وهذا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذكر معنى ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ فقال: « وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ لا يمنع كون الكافر يبلغ القرآن لوجوه:

أحدها: أنه لم يخص قوما دون قوم، لكنه قال: ﴿فَذَكِّرْ﴾ و هذا مطلق بتذكير كل أحد. و قوله: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾لم يقل: إن نفعت كل أحد.

بل أطلق النفع، فقد أمر بالتذكير إن كان ينفع.

---

(١) إعلام الموقعين ٣/ ٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و التذكير المطلق العام ينفع، فإن من الناس من يتذكر فينتفع به، والآخر تقوم عليه الحجة ويستحق العذاب على ذلك.

فيكون عبرة لغيره، فيحصل بتذكيره نفع أيضا. و لأنه بتذكيره تقوم عليه الحجة، فتجوز عقوبته بعد هذا بالجهاد و غيره.

فتحصل بالذكرى منفعة»[١].

وقال أيضا: «و كذلك قوله: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ أمر بتذكير كل أحد، فإن انتفع، كان تذكره تاما نافعا و إلا حصل أصل التذكير الذي قامت به الحجة، و دل ذلك على ذمه، واستحقاقه التوبيخ، مع أنه سبحانه إنما قال: ﴿ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ولم يقل: ذكر من تنفعه الذكرى فقط.

كما في قوله:﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٢]، فهناك الأمر بالتذكير خاص، و قد جاء عاما و خاصا كخطاب القرآن بـ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، و هو عام وبـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، خاص لمن آمن بالقرآن. فهناك قال: ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٦٢.

(٢) سورة ق الآية ٤٥.

(٣) سورة الذاريات الآية ٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهنا قال:﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾[١] ، ولم يقل: سينتفع من يخشي.

فإن النفع الحاصل بالتذكير أعم من تذكر من يخشى، فإنه إذا ذكر قامت الحجة على الجميع، والأشقى الذي تجنبها حصل بتذكيره قيام الحجة عليه و استحقاقه لعذاب الدنيا و الآخرة»[٢].

والله أعلم.

(١) سورة الأعلى الآية ١٠ - ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ١٦٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خاتمة

الحمد لله الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله، وأصلي وأسلم على من عصمه ربه حتى بلغ الرسالة، ونصح الأمة، صلاة وتسليما يليقان بمقامه الشريف، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا آخر ما انتهى إليه تعليقي، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فيه وسعي، وسجلت فيه لطائف ـ إن شاء الله ـ تجدي، وبينت فيه على قدر فهمي، القول الصحيح من الخطأ، والراجح من المرجوح.

هذا، ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض والغوص في هذه المسالك، ولكني رأيت هذا من النصح للأمة، عسى ربي أن ينفع به الطلبة والأئمة، فإن أصبت فمن فضل الله علي، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله تعالى أعلم بمراد ما اختلف فيه أهل الإيمان، ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[1]، فلك يا ناظرا فيه غنمه، وعلى كاتبه غرمه، لك ثمرته، وعلي تبعته.

أسأل الله تعالى برحمته وكرمه أن يتقبله مني، وينفع به، ويجعله لوجهه، إنه واسع الفضل والكرم، وهو الفتاح العليم.

المؤلف عفا الله عنه

محمد بن أحمد بن الحسن

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهرس

تقديم بقلم الشيخ محمد عبد السلام عزيزو ٥

المقدمة ٩

سورة البقرة ١٧

سورة آل عمران ٢٨

سورة التوبة ٤٤

سورة هود ٥٨

سورة الرعد ٦١

سورة النحل ٦٣

سورة الكهف ٦٥

سورة طه ٧٠

سورة الأنبياء ٧٤

سورة الحج ٧٧

سورة الشعراء ٨٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة النمل ٨٧
سورة القصص ٨٨
سورة العنكبوت ٨٩
سورة الروم ٩١
سورة لقمان ٩٥
سورة الأحزاب ٩٧
سورة سبأ ٩٩
سورة فاطر ١٠٠
سورة يس ١٠٢
سورة الصافات ١٠٨
سورة» ص» ١١٤
سورة الزمر ١٢١
سورة المدثر ١٢٩
سورة المرسلات ١٣٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سورة الأعلى ١٣٤

خاتمة ١٣٨

الفهرس ١٤٠